موسوعة الأخلاق

الجزء السابع

الشَّفَقَة - الشَّهَامَة - الصَّبْر

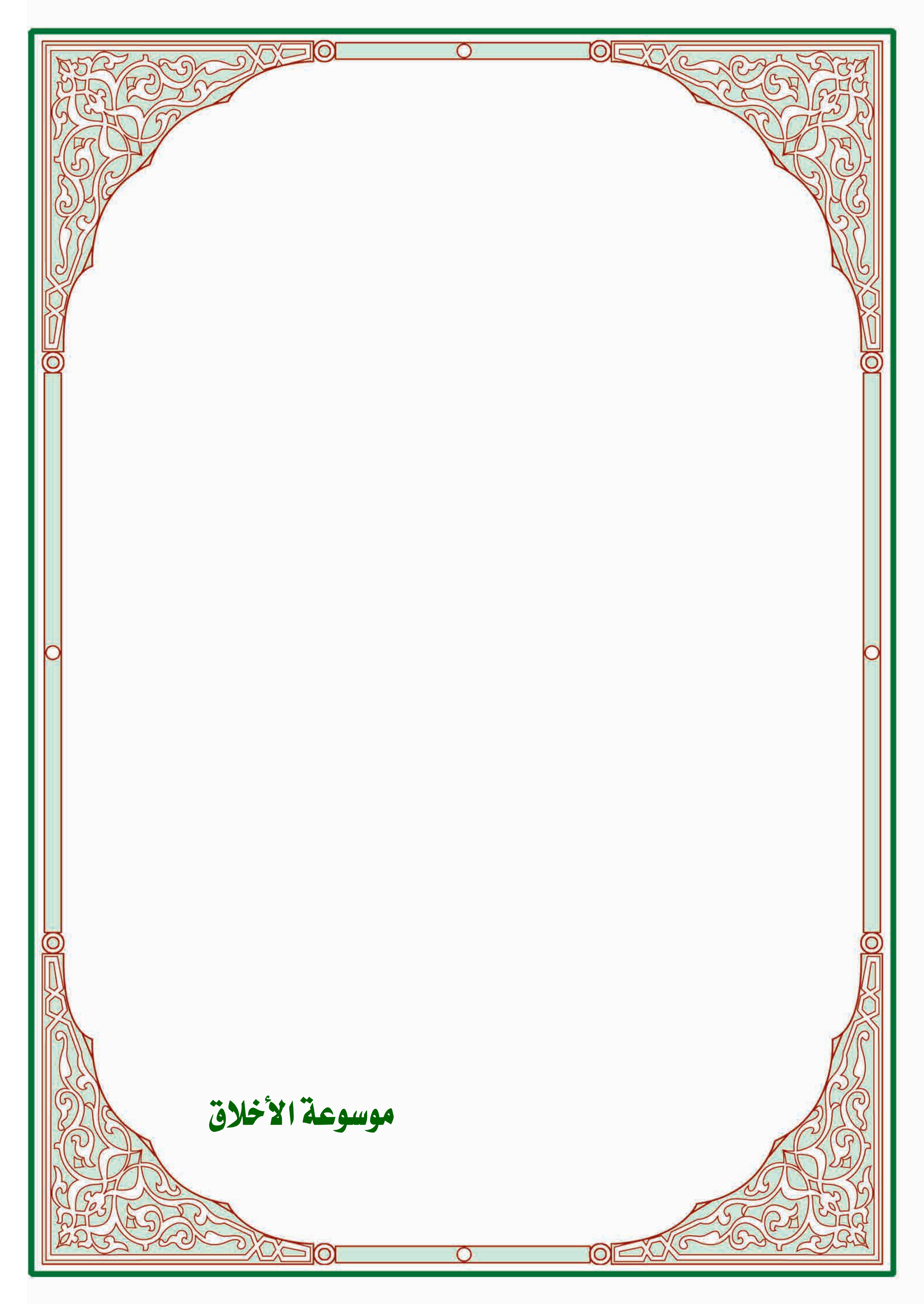
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

عَلَوِيّ بن عَبدِالقَادِرِ السَّقَّاف




موسوعة الأخلاق



موسوعة الأخلاق

الجزء السابع

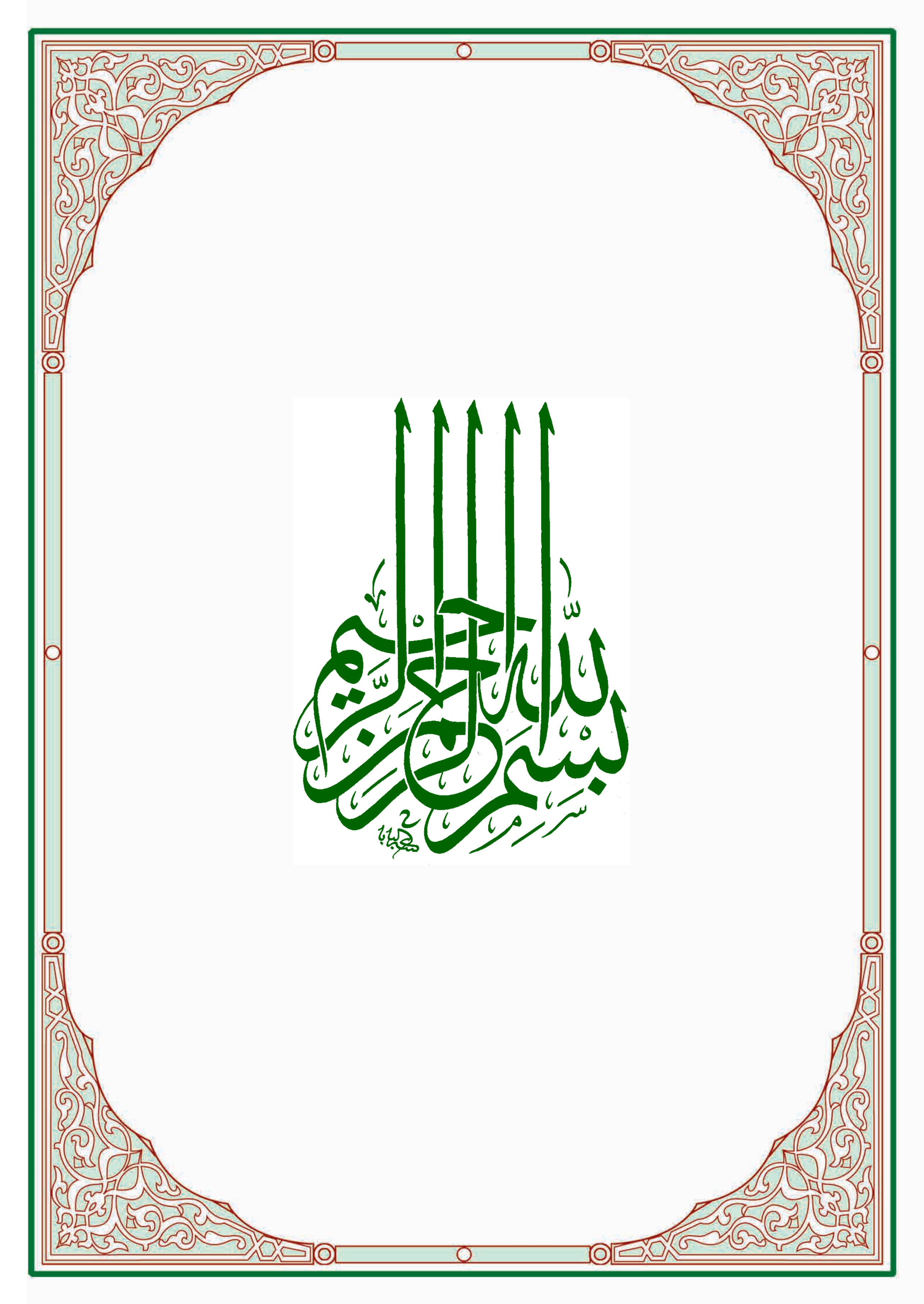
الشَّفَقَة - الشَّهَامَة - الصَّبْر

إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

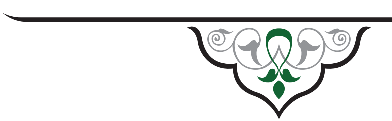
إشراف الشيخ

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف


بسم الله الرحمن الرحيم



الشَّفَقَة



الشَّفَقَة

معنى الشَّفَقَة لغةً واصطلاحًا:

• معنى الشَّفَقَة لغةً:

الشَّفَق والشَّفَقَة: رِقَّة مِنْ نُصْحٍ أو حُبٍّ، يؤدِّي إلى خوفٍ، والشَّفَقَة: الاسم من الإشْفَاق.. وأَشْفَقْت عليه، فأنا مُشْفِق وشَفِيق.

والشَّفَق: الخوف، تقول: أنا مُشْفِق عليك، أي: خائف. وأنا مُشْفِق من هذا الأمر، أي: خائف. والشَّفَق -أيضًا- الشَّفَقَة، وهو أن يكون النَّاصح -من بلوغ نُصْحه- خائفًا على المنصُوح، تقول: أَشْفَقْت عليه أن يناله مكروه، والشَّفِيق: النَّاصح الحريص على صلاح المنصوح[1].

• معنى الشَّفَقَة اصطلاحًا:

قال الرَّاغب: (الإشْفَاق عناية مختلطة بخوف)[2].

قال ابن القيِّم: (الإشْفَاق رِقَّة الخوف، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يُخاف عليه، فنسبته إلى الخوف، نسبة الرَّأفة إلى الرَّحمة، فإنَّها ألطف الرَّحمة وأرقُّها)[3].

قال الجرجاني: (هي صرف الهمَّة إلى إزالة المكروه عن النَّاس)[4].

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٤/١٥٠١-١٥٠٢)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٨/٢٦١)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/١٧٩).

(٢) وعلل ذلك بقوله: (لأنَّ المشْفِق يحبُّ المشْفَق عليه، ويخاف ما يلحقه، فإذا عُدِّي بـ(مِنْ)، فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عُدِّي بـ(في) فمعنى العناية فيه أظهر). ((مفردات القرآن)) للراغب الأصفهاني (٤٥٨-٤٥٩).

(٣) ((مدارج السالكين)) (١/٥١٤).

(٤) ((التعريفات)) (ص ١٢٧). وقال أبو إسماعيل الهروي: (الإشْفَاق: دوام الحذر، مقرونًا بالتَّرحُّم). ((منازل السائرين)) (ص ٢٧).

الفرق بين الشَّفَقَة وبعض الصِّفات:

• الفرق بين الشَّفَقَة والخَشْيَة:

قال أبو هلال: (إنَّ الشَّفَقَة ضرب من الرِّقَّة وضعف القلب، ينال الإنسان، ومِنْ ثمَّ يُقال للأمِّ: أنَّها تُشْفِق على ولدها، أي: تَرِقُّ له، وليست هي من الخَشْيَة والخوف في شيء، والشَّاهد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧]، ولو كانت الخَشْيَة هي الشَّفَقَة، لما حَسُن أن يقول ذلك، كما لا يَحْسُن أن يقول: يَخْشَون من خَشْيَة ربِّهم. ومن هذا الأصل قولهم: ثوبٌ شَفَقٌ، إذا كان رقيقًا،...، فقولك: أَشْفَقت من كذا، معناه: ضَعُف قلبي عن احتماله)[١].

• الفرق بين الشَّفَقَة والرِّقَّة:

قال أبو هلال: (إنَّه قد يرِقُّ الإنسان لمن لا يُشْفِق عليه، كالذي يَئِد المؤْؤُدَة[٢]، فيرَقُّ لها -لا محالة-؛ لأنَّ طبع الإنسانيَّة يوجب ذلك، ولا يُشْفِق عليها، لأنَّه لو أَشْفَق عليها ما وَأَدَها)[٣].

التَّرغيب في الشَّفَقَة:

- عن ابن عمر رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: ((المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومَن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مسلم كربةً، فرج الله عنه كربةً مِن كربات يوم القيامة،

---

(١) ((الفروق اللغوية)) (ص ٣٠٠).

(٢) المؤْؤُدَة: وأد ابنته يئدها وأدًا، فهي موءودة، أي دفنها في القبر وهى حية. ((الصحاح)) للجوهري (٥٤٦/٢).

(٣) ((الفروق اللغوية)) (ص ٣٠٠).

ومَن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة))[١].

ورواه التِّرمذي بلفظ آخر وقال في تبويبه له: (ما جاء في شَفَقَة المسلم على المسلم)[٢].

- وعن النُّعمان بن بَشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مَثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تَدَاعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى))[٣].

قال ابن حبان: (وفيه مَثَّل النَّبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بما يجب أن يكونوا عليه من الشَّفَقَة والرَّأفة)[٤].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أمَّ أحدكم النَّاس فليُخَفِّف؛ فإنَّ فيهم الصَّغير والكبير والضَّعيف والمريض، فإذا صلَّى وحْدَه، فليصل كيف شاء))[٥].

قال ابن عثيمين: (ومن الشَّفَقَة والرَّحمة بالمؤمنين: أنَّه إذا كان الإنسان إمامًا لهم، فإنَّه لا ينبغي له أن يُطِيل عليهم في الصَّلاة... والمراد بالتَّخفيف: ما وافق سُنَّة النَّبي صلى الله عليه وسلم، هذا هو التَّخفيف، وليس المراد بالتَّخفيف ما وَافَق أهواء النَّاس)[٦].

- وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: لما جاءِ نعي جعفر، قال

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).
(٢) ((سنن الترمذي)) (٤/٣٢٤).
(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللَّفظ له.
(٤) انظر: ((صحيح ابن حبان)) (١/٤٩٦).
(٥) رواه البخاري (٧٠٣)، ومسلم (٤٦٧).
(٦) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٢/٥٥٥).

رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقد أتاهم ما يشغلهم، أو أمر يشغلهم))[1].

قال وليُّ الله الدَّهْلوي: (هذا نهاية الشَّفَقَة بأهل المصيبة، وحفظهم من أن يتضوَّروا بالجوع)[2].

أقوال السَّلف والعلماء في الشَّفَقَة:

- عن أسلم (أنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه استعمل مولى له -يُدْعى هُنَيًّا- على الحِمَى[3]، فقال: يا هُني، اضْمُم جناحك عن المسلمين، واتَّق دعوة المظلوم؛ فإنَّ دعوة المظلوم مستجابة)[4].

قال العيني: (قوله: اضْمُم جناحك، ضَمُّ الجَناح: كناية عن الرَّحمة والشَّفَقَة، وحاصل المعنى: كُفَّ يدك عن ظلم المسلمين)[5].

- عن عبد الملك بن حميد، قال: كنَّا مع عبد الملك بن صالح بدمشق، فأصاب كتابًا في ديوان دمشق: (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، من عبد الله بن عبَّاس، إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإنِّي أحمد إليك الله، الذي لا

---

(١) رواه أبو داود (٣١٣٢)، والترمذي (٩٩٨)، وابن ماجه (١٣١٦) واللَّفظ له، وأحمد (١/٢٠٥) (١٧٥١). قال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه البغوي في ((شرح السنة)) (٣/٣٠٠)، وحسن إسناده ابن كثير في ((إرشاد الفقيه)) (١/٢٤٢)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (١٣١٦).

(٢) ((حجة الله البالغة)) للدهلوي (١/٤٨٧).

(٣) الحِمَى: أحميت المكان فهو محمي إذا جعلته حمى. وهذا شيء حمى: أي محظور لا يقرب، وحميته حماية إذا دفعت عنه ومنعت منه من يقربه. ((النهاية في غريب الأثر)) لابن الأثير (١/١٠٥٥).

(٤) رواه البخاري (٣٠٥٩).

(٥) ((عمدة القاري)) للعيني (١٤/٣٠٤).

إله إلا هو، عصمنا الله وإيَّاك بالتَّقوى... أمَّا بعد، فإنَّك من ذوي النُّهى من قريش، وأهل الحلم والخُلُق الجميل منها، فليَصْدر رأيك بما فيه النَّظر لنفسك، والتَّقيَّة على دينك، والشَّفَقَة على الإسلام وأهله، فإنَّه خير لك، وأوفر لحظِّك في دنياك وآخرتك)[1].

- قال الجنيد -عندما سُئل عن الشَّفَقَة على الخَلْق ما هي؟-: (تعطيهم من نفسك ما يطلبون، ولا [تحمِّلهم ما لا] يطيقون، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون)[2].

- وقال أبو الخير: (القلوب ظُرُوف، فقلب مملوء إيمانًا، فعلامته الشَّفَقَة على جميع المسلمين، والاهتمام بما يهمُّهم، ومعاونتهم على أن يعود صلاحه إليهم. وقلب مملوء نفاقًا، فعلامته الحقد والغلُّ والغشُّ والحسد)[3].

قال المناوي: (الشَّفَقَة تَحَنُّن الرَّأفة، والإكباب على من يُشفِق عليه، وإنَّما يصير مُنكبًّا بشدَّة الرَّأفة، فإذا كانت الشَّفَقَة بغير مِعَةٍ -مشتقَّة من أمعاء البطن- انتشرت فأفسدت، وإذا كانت في مِعَةٍ، كانت في حصن، فلم تنتشر، ولم تَفْسَد؛ لأنَّ هنا حدًّا يحويها)[4].

فوائد الشَّفَقَة:

١- أنَّ المتَحَلِّي بها يتحلَّى بخُلُق تحلَّى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- أنَّ أهلها مخصوصون برحمة الله، جزاءً لشَفَقَتهم ورحمتهم بخَلْقه.

٣- أنَّ من ثمارها: محبَّة الله للعبد، ومن ثمَّ محبَّة النَّاس له.

---

(١) رواه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٢٧/٤١٥).

(٢) رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦/٢٦٤) (٨٠٩٢).

(٣) ((تاريخ دمشق)) لابن عساكر (٦٦/١٦١).

(٤) ((فيض القدير)) للمناوي (٢/٥٢٩).

٤- أنَّها ركيزة عظيمة ينبني عليها مجتمع مسلم متماسك، يعطف بعضه على بعض، ويُشفق بعضه على بعض.

٥- أنَّها مظهر من مظاهر العِشْرة الطَّيِّبة، قال محمَّد الغزي: (ومنها: أن تكون الشَّفَقَة على الأخ الموافق أكثر من الشَّفَقَة على الولد. قال أبو زائدة: كتب الأحنف إلى صديق له: أمَّا بعد، فإذا قدم أخ لك موافق، فليكن منك بمنزلة السَّمع والبصر؛ فإنَّ الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف. ألم تسمع قول الله عزَّ وجلَّ لنوح -عليه السَّلام- في ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هود: ٤٦])[١].

٦- من أعظم فوائدها: أنَّها خُلق مُتعدٍّ إلى جميع خَلْق الله: من إنسان أو حيوان، بعيدٍ أو قريبٍ، مسلمٍ أو غير مسلمٍ.

٧- أنَّها سبب للالتفات إلى ضَعفة المجتمع من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والكبار والعَجَزة.

وغير ذلك من الفوائد العظيمة..

الشفقة المذمومة:

الشَّفَقَة المذمومة: وهو ما يحصل بسببها تعطيل لشرع الله، أو تهاون في تطبيق حدوده وأوامره، كمن يُشْفِق على من ارتكب جُرمًا يستحق به حدًّا، فيحاول إقالته والعفو عنه، ويحسب أنَّ ذلك من الشَّفَقَة على الخَلق، وهو ليس منها في شيء.

قال الحسن: (إن منعته أُمُّه عن العشاء في الجماعة -شفقةً- لم يُطِعها)[٢].

---

(١) ((آداب العشْرة)) لمحمد الغزي (ص ٥٢).

(٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم قبل حديث (٦٤٤). وينظر: ((تغليق التعليق)) لابن حجر (٢/٢٧٥).

قال العيني: (يعني: إن منعت الرَّجل أُمُّه عن الحضور إلى صلاة العشاء مع الجماعة شَفَقَة عليه، أي: لأجل الشَّفَقَة. لم يُطِع أمَّه فيه.. مع أنَّ طاعة الوالدين فرض في غير المعصية، وإنَّما عيَّن العشاء، مع أنَّ الحُكم في كلِّ الصَّلوات سواء؛ لكونها من أثقل الصَّلاة على المنافقين... وإنَّما عيَّن الأمَّ مع أنَّ الأب كذلك في وجوب طاعتهما؛ لأنَّ الأمَّ أكثر شَفَقَة من الأب على الأولاد)[1].

وعن عامر بن سعد، أنَّ أسامة بن زيد رضي الله عنه أخبر والده سعد بن أبي وقاص: ((أنَّ رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنِّي أَعْزِل عن امرأتي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لِمَ تفعل ذلك؟ فقال الرَّجل: أُشفِق على ولدها، أو على أولادها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كان ذلك ضارًّا، ضرَّ فارس والرُّوم)). وقال زهير في روايته: (إن كان لذلك فلا، ما ضارَّ ذلك فارس ولا الرُّوم)[2].

أو كمن يُشْفِق على الطُّلَّاب فيتركهم يغشُّون في الامتحان شَفَقَة منه عليهم أن يرسبوا.

أو كمن يَقتل من الأطباء -بدافع الشَّفَقَة- مرضاهم الذين لا يُرجى شفاؤهم، ويتألَّمون من مرضهم.. فكلُّ هذا ممَّا لا تجوز فيه الشَّفَقَة.

درجات الشَّفَقَة:

للشَّفَقَة ثلاث درجات، كما ذكر الإمام الهروي في كتابه ((منازل السائرين)):

---

(١) ((عمدة القاري)) (٥/١٥٩).

(٢) رواه مسلم (١٤٤٣).

(**الدَّرجة الأولى**: إشْفَاق على النَّفس أن تَجْمَح إلى العِناد، وإشْفَاق على العمل أن يصير إلى الضَّياع، وإشْفَاق على الخليقة لمعرفة معاذيرها)[1].

قال ابن القيِّم في شرحه للدَّرجة: (إشْفَاق على النَّفس أن تَجْمَح إلى العِناد: أي: تُسرع وتذهب إلى طريق الهوى والعصيان، ومعاندة العبوديَّة. وإشْفَاق على العمل أن يصير إلى الضَّياع: أي: يخاف على عمله أن يكون من الأعمال التي قال الله فيها: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان:٢٣] وهي الأعمال التي كانت لغير الله، وعلى غير أمره وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويخاف -أيضًا- أن يَضِيع عمله في المستقبل، إمَّا بتركه، وإمَّا بمعاصي تفرِّقه وتُحبِطه، فيذهب ضائعًا... قال: وإشْفَاق على الخليقة لمعرفة معاذيرها: هذا قد يوهم نوع تناقض، فإنَّه كيف يُشفِق مع معرفة العُذر؟! وليس بمتناقض، فإنَّ الإشْفَاق -كما تقدَّم- خوف مقرون برحمة، فيُشفِق عليهم من جهة مخالفة الأمر والنَّهي، مع نوع رحمة، بملاحظة جَرَيان القدر عليهم)[2].

(**الدَّرجة الثَّانية**: إشْفَاقٌ على الوقت أن يشوبه تفرُّقٌ، وعلى القلب أن يزاحمه عارض، وعلى اليقين أن يُداخله سبب)[3].

قال ابن القيِّم: (الدَّرجة الثَّانية: إشْفَاق على الوقت أن يشوبه تفرُّق، أي: يحذر على وقته أن يخالطه ما يفرِّقه عن الحضور مع الله عزَّ وجلَّ. قال: وعلى القلب أن يزاحمه عارض، والعارض المزاحم: إمَّا فَتْرة، وإما شُبْهة، وإمَّا شهوة، وكلُّ سبب يعوق السَّالك. قال: وعلى اليقين أن يُداخله سبب، هو الطُّمأنينة

(١) ((منازل السائرين)) (ص ٢٨).
(٢) ((مدارج السالكين)) (١/٥١٤).
(٣) ((منازل السائرين)) لأبي إسماعيل الهروي (ص ٢٨).

إلى من بيده الأسباب كلِّها، فمتى داخل يقينه ركونٌ إلى سبب وتعلُّق به، واطمأنَّ إليه، قدح ذلك في يقينه، وليس المراد قطع الأسباب عن أن تكون أسبابًا، والإعراض عنها، فإنَّ هذا زندقة وكُفر ومُحَال... ولكن الذي يريد أن يُحْذَر منه: إضافة يقينه إلى سبب غير الله، ولا يتعلَّق بالأسباب، بل يَفْنَى بالمسبِّب عنها)[١].

(**الدَّرجة الثَّالثة**: إشْفَاق يصون سعيه من العُجب، ويكُفُّ صاحبه عن مخاصمة الخَلْق، ويحمل المريد على حفظ الجِدِّ)[٢].

قال ابن القيِّم: (الدَّرجة الثَّالثة: إشْفَاقٌ يصون سعيه عن العُجب، ويكُفُّ صاحبه عن مخاصمة الخَلْق، ويحمل المريد على حفظ الجِدِّ. الأوَّل: يتعلَّق بالعمل، والثَّاني: بالخَلْق، والثَّالث: بالإرادة، وكلٌّ منها له ما يُفسده. فالعُجب: يُفسد العمل، كما يُفسده الرِّياء، فيُشفِق على سعيه من هذا المفْسِد شَفَقَةً تصونه عنه. والمخاصمة للخَلْق مُفْسِدة للخُلُق، فيُشفِق على خُلُقه من هذا المفْسِد شَفَقَةً تصونه عنه. والإرادة يُفْسِدها عدم الجِدِّ، وهو الهزل واللَّعب، فيُشْفق على إرادته مما يُفسدها. فإذا صحَّ له عمله وخُلُقه وإرادته، استقام سلوكه وقلبه وحاله)[٣].

صور الشَّفَقَة:

أ- شَفَقَة الإمام على المأمومين، وتجنُّب ما يشق عليهم:

١- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((أَعْتم[٤] النَّبي صلى الله عليه

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/٥١٤-٥١٥).
(٢) ((منازل السائرين)) لأبي إسماعيل الهروي (ص ٢٨).
(٣) ((مدارج السالكين)) (١/٥١٥-٥١٦).
(٤) أَعْتم: دخل في وقت العتمة. ((فتح الباري)) (٢/٤٦).

وسلم ذات ليلة، حتى ذهب عامَّة اللَّيل، وحتى نام أهل المسجد، ثمَّ خرج فصلَّى، فقال: إنَّه لوقتها لولا أن أشقَّ على أمَّتي))[1].

٢- عن أبي هريرة أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أمَّ أحدكم النَّاس فليُخفِّف؛ فإنَّ فيهم الصَّغير والكبير والضَّعيف والمريض، فإذا صلَّى وحده فليصل كيف شاء))[2].

ب- الشَّفَقَة على الأبناء، والعطف عليهم، والحُزن إذا أصابهم مكروه:

١- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((قَدِم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: أتقبِّلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم. فقالوا: لكنَّا -والله- ما نُقبِّل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأملك إن كان الله نزع منكم الرَّحمة))، وقال ابن نمير: ((من قلبك الرَّحمة))[3]. قال ابن عثيمين: (وفي هذا دليلٌ على تقبيل الصِّبيان شَفَقَة عليهم ورقَّة لهم ورحمة بهم)[4].

٢- وعن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: ((أرْسَلت ابنة النَّبي صلى الله عليه وسلم إليه: إنَّ ابنًا لي قُبِض فائتنا. فأرسل يقرئ السَّلام، ويقول: إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمًّى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينَّها، فقام، ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرُفِع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّبي ونَفْسُه تتقَعْقَع[5] - قال: حسبته أنَّه قال: كأنَّها

(١) رواه مسلم (٦٣٨).

(٢) رواه البخاري (٧٠٣)، ومسلم (٤٦٧) واللَّفظ له.

(٣) رواه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧) واللَّفظ له.

(٤) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٢/٥٥٤).

(٥) تتقَعْقَع: تتحرك وتضطرب بصوت. ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٧٥).

شَنٌّ[١] - ففاضت عيناه. فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنَّما يرحم الله من عباده الرُّحماء))[٢].

٣- عن شدَّاد بن الهاد رضي الله عنه قال: ((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء، وهو حامل حسنًا أو حسينًا، فتقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه، ثمَّ كبَّر للصَّلاة، فصلَّى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي، وإذا الصَّبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلمَّا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّلاة، قال النَّاس: يا رسول الله، إنَّك سجدتَّ بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننَّا أنَّه قد حدث أمر، أو أنَّه يُوحى إليك. قال: كلُّ ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتَحَلَني، فكرهت أن أُعْجِلَه حتى يقضي حاجته))[٣].

فالنَّبي صلى الله عليه وسلم يركب الطِّفل على ظهره الشَّريف وهو ساجد، ولا يقوم من سجوده، ليُكمل الطِّفل لعبه، حتى لا يزعجه، رحمةً به، وشَفَقَةً عليه.

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: ((كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذِّئب، فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنَّما ذهب بابنك. وقالت الأخرى: إنَّما ذهب بابنك. فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكُبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال:

---

(١) الشَنّ: القربة الخلقة اليابسة. ((فتح الباري)) (١٥٧/٣).

(٢) رواه البخاري (١٢٨٤) واللَّفظ له، ومسلم (٩٢٣).

(٣) رواه النسائي (٢٢٩/٢)، وأحمد (٤٩٣/٣) (١٦٠٧٦). احتج به ابن حزم في ((المحلى)) (٩٠/٣)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (٢٢٩/٢)، والوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (٤٧٥).

ائتوني بالسِّكين، أشقُّه بينهما. فقالت الصُّغرى: لا تفعل -يرحمك الله-، هو ابنها. فقضى به للصُّغرى)).[1].

قال ابن القيِّم: (ولم يكن سليمان ليفعل، ولكن أوهمهما ذلك، فطابت نفس الكبرى بذلك. استرواحًا منها إلى راحة التَّسلِّي، والتَّأسِّي بذهاب ابن الأخرى. كما ذهب ابنها، ولم تطِبْ نفس الصُّغرى بذلك، بل أدركتها شَفَقَة الأمِّ، ورحمتها، فناشدته أن لا يفعل، استرواحًا إلى بقاءِ الولد، ومشاهدته حيًّا، وإن اتَّصل إلى الأخرى)[2].

٦- عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: ((بينما هو يقرأ من اللَّيل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت، فقرأ، فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثمَّ قرأ، فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها، فأشْفَق أن تصيبه، فلما اجْتَرَّه، رفع رأسه إلى السَّماء حتى ما يراها، فلما أصبح، حدَّث النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير. قال: فأشْفَقت -يا رسول الله- أن تطأ يحيى...))[3].

الشَّفَقَة على النِّساء:

عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قالت: (تزوَّجني الزُّبير، وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء، غير نَاضِح[4] وغير فرسه، فكنت

---

(١) رواه البخاري (٣٤٢٧) واللَّفظ له، ومسلم (١٧٢٠).

(٢) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (٢/٦٧).

(٣) رواه البخاري (٥٠١٨).

(٤) نَاضِح: الناضح البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقي عليه. ((فتح الباري)) (٣/٦٠٤).

أَعْلِف فرسه، وأستقي الماء، وأَخْرِز غَرْبَه[1] وأعجن، ولم أكن أُحْسِن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكنَّ نِسْوة صِدْقٍ، وكنت أَنْقُل النَّوَى من أرض الزُّبير -التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي، وهي منِّي على ثُلُثي فَرْسخ، فجئت يومًا والنَّوَى على رأسي، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار، فدعاني، ثمَّ قال: إخ إخ. ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرِّجال...)[2].

قال النَّووي: (وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشَّفَقَة على المؤمنين والمؤمنات، ورحمتهم ومواساتهم فيما أمكنه)[3].

الوسائل المعينة على اكتساب الشَّفَقَة:

١- عدم الشِّبَع:

قال أبو سليمان الدَّاراني: (من شَبِع دخل عليه ستُّ آفات: فَقَد حلاوة المنَاجاة، وتعذَّر حفظ الحِكْمة، وحرمان الشَّفَقَة على الخَلْق؛ لأنَّه إذا شَبِع، ظنَّ أنَّ الخَلْق كلَّهم شِبَاعٌ، وثُقْل العبادة، وزيادة الشَّهوات، وأنَّ سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشِّباع يدورون حول المزابل)[4].

٢- عدم الحسد:

قال أبو عبد الرَّحمن السُّلمي: (الحسد عدوُّ نعمة الله، وإنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تحاسدوا))[5]، وحسد المسلمين من قلَّة الشَّفَقَة عليهم.

---

(١) غَرْبَه: هو الدلو. ((فتح الباري)) (٩/٣٢٣).

(٢) رواه البخاري (٥٢٢٤) واللَّفظ له، ومسلم (٢١٨٢).

(٣) ((شرح النَّووي على مسلم)) (١٤/١٦٦).

(٤) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/٨٧).

(٥) رواه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٣- الاختلاط بالضُّعفاء والمساكين وذوي الحاجة:

فإنَّه ممَّا يُرَقِّق القلب، ويدعو إلى الرَّحمة والشَّفَقَة بهؤلاء وغيرهم.

٤- مَسْحُ رأس اليتيم:

((عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا شكا إلى رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قسوةَ قلبِه فقال امسَحْ رأسَ اليتيمِ وأطعِمِ المسكينَ))[١].

نماذج للشَّفَقَة:

- **نماذج من الأنبياء والمرسلين:**

كان الأنبياء -صلوات الله عليهم- يحرصون في التعامل مع أقوامهم على الرَّحمة بهم والشَّفَقَة عليهم، فكانوا يُشْفِقون عليهم بالرَّغم من إيذاء قومهم لهم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كأنِّي أنظر إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيًّا من الأنبياء، ضربه قومه فأَدْمَوه[٢]، فهو يمسح الدَّم عن وجهه، ويقول: ربِّ اغفر لقومي، فإنَّهم لا يعلمون)[٣].

قال النَّووي: (فيه ما كانوا عليه -صلوات الله وسلامه عليهم- من الحلم والتَّصبُّر والعفو والشَّفَقَة على قومهم، ودعائهم لهم بالهداية والغُفران، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم: بأنَّهم لا يعلمون. وهذا النَّبي المشار إليه من

---

(١) رواه أحمد (٢/٣٨٧) (٩٠٠٦).
قال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣/٣١٦)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/١٦٣): رجاله رجال الصحيح، وقال البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٥/٤٨٦): سنده منقطع، وقال الألباني في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٤٩٣٠): روي بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح، والآخر فيه رجل لم يسم، وقال الوادعي في ((أحاديث معلة)) (٤١٩): سنده رجال الصحيح ، ولكنه منقطع.

(٢) أَدْمَوه: جعلوه صاحب دم خارج من رأسه. ((مرقاة المفاتيح)) للملا علي القاري (٨/٣٣٣٠).

(٣) رواه البخاري (٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢).

المتقدِّمين، وقد جرى لنبينا صلى الله عليه وسلم مثل هذا يوم أحد)[١].

نوح عليه السَّلام:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٥-٤٦].

قال السعدي: (لعلَّه -عليه الصَّلاة والسَّلام- حملته الشَّفَقَة، وأنَّ الله وعده بنجاة أهله، ظنَّ أنَّ الوعد لعمومهم: مَنْ آمن، ومَنْ لم يؤمن، فلذلك دعا ربَّه بذلك الدُّعاء، ومع هذا، ففوَّض الأمر لحكمة الله البالغة)[٢].

إبراهيم عليه السَّلام:

كان نبيُّ الله إبراهيم -عليه السَّلام- شَفِيقًا على النَّاس، وكان يجادل عن قوم لوط، حتى لا يأتيهم العذاب، وذلك لغلبة الشَّفَقَة عليه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود:٧٤-٧٦].

قال ابن عجيبة: (ظاهر قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ أنَّ مجادلته كانت عن قومه فقط، لغلبة الشَّفَقَة عليه، كما هو شأنه، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾، حتى قال له تعالى: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ لمَّا تحتَّمَ عليهم العذاب)[٣].

---

(١) ((شرح النَّووي على مسلم)) (١٥٠/١٢).

(٢) ((تفسير السعدي)) (ص ٣٨٢).

(٣) ((البحر المديد)) لابن عجيبة (٣٠٠/٤-٣٠١).

وقال أيضًا: (والحاصل أنَّ إبراهيم -عليه السَّلام- حملته الشَّفَقَة والرَّحمة، حتى صدر، منه ما صدر مع خُلَّته واصطفائيَّته، فالشَّفَقَة والرَّحمة من شأن الصَّالحين والعارفين المقرَّبين، غير أنَّ العارفين بالله -مع مراد مولاهم- يُشْفِقون على عباد الله، ما لم يتعيَّن مراد الله، فالله أرحم بعباده من غيره. ولذلك قال لخليله، لمَّا تعيَّن قضاؤه: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ ﴾)[1].

نماذج من شَفَقَة النَّبي صلى الله عليه وسلم:

١- شَفَقَة النَّبي صلى الله عليه وسلم على أمَّته:

كان صلى الله عليه وسلم شَفِيقًا على أمَّته، رحيمًا بهم، وشَفَقَته ورحمته لم تكن خاصَّة بالمؤمنين، بل كان يُشْفِق على الكافرين ممَّن لا يدين بدين الإسلام. ونشير هنا إلى بعض النَّماذج التي هي من أقواله وسيرته، فصلوات ربِّي وسلامه عليه:

- عن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشَّفاعة: ((أمَّتي أمَّتي))[2].

قال الفارسي أبو الحسين: (انظر هل وصف الله عزَّ وجلَّ أحدًا من عباده بهذا الوصف من الشَّفَقَة والرَّحمة التي وَصَف بها حبيبَه صلى الله عليه وسلم ، ألا تراه في القيامة إذا اشتغل النَّاس بأنفسهم كيف يَدَع حَدَث نفسه، ويقول: (أمَّتي أمَّتي)، يرجع إلى الشَّفَقَة عليهم، ويقول: إنِّي أسلمت نفسي إليك،

(١) ((البحر المديد)) لابن عجيبة (٢/٥٤٤).

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

فافعل بي ما شئت، ولا تردَّني في شفاعتي في عبادك)[١].

٢- شَفَقَة النَّبي صلى الله عليه وسلم على الكفَّار:

عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّها قالت للنَّبي صلى الله عليه وسلم: ((هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العَقَبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يَالِيلَ بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أَسْتَفق إلَّا وأنا بِقَرْن الثَّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني مَلَك الجبال فسلَّم عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين. فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا))[٢].

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث بيان شَفَقَة النَّبي صلى الله عليه وسلم على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧])[٣].

---

(١) ((شعب الإيمان)) للبيهقي (٢/١٦٣).

(٢) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٣) ((فتح الباري)) لابن حجر (٦/٣١٦).

٣- شَفَقَة النَّبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه:

- قال صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك: (أَبْشِر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك. قال: قلت أمن عندك -يا رسول الله- أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله)[١].

قال ابن القيِّم: (وفى سرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفرحه به واستنارة وجهه دليل على ما جعل الله فيه من كمال الشَّفَقَة على الأمَّة، والرَّحمة بهم والرَّأفة، حتى لعلَّ فرحه كان أعظم من فرح كعب وصاحبيه)[٢].

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: ((حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطَّائف، فلم ينل منهم شيئًا. فقال: إنَّا قافلون[٣]، إن شاء الله. قال أصحابه: نرجع ولم نفتتحه! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغدوا على القتال. فغدوا عليه، فأصابهم جِراح. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّا قافلون غدًا. قال: فأعجبهم ذلك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم))[٤].

قال النَّووي: (معنى الحديث أنَّه صلى الله عليه وسلم قصد الشَّفَقَة على أصحابه والرِّفق بهم بالرَّحيل عن الطَّائف؛ لصعوبة أمره، وشِدَّة الكفَّار الذين فيه، وتقويتهم بحصنهم، مع أنَّه صلى الله عليه وسلم علم أو رجا أنَّه سيفتحه بعد هذا بلا مشقَّة كما جرى...)[٥].

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) ((زاد المعاد)) (٣/٥٨٥).

(٣) قافلون: أصله الرجوع ومنه مقفله من خيبر ولا تسمى قافلة إلا إذا رجعت وقد يطلق في الابتداء عليها تفاؤلا. ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٧٥).

(٤) رواه البخاري (٤٣٢٥)، ومسلم (١٧٧٨) واللَّفظ له.

(٥) ((شرح النَّووي على مسلم)) (١٢/١٢٤).

- عن أبي هريرة عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّما أنا لكم مثل الوالد أعلِّمكم...))[1].

قال علي القاري: ((إنَّما أنا لكم مثل الوالد) أي: ما أنا لكم إلا مثل الوالد في الشَّفَقَة لولده، (أعلِّمكم) أي: أمور دينكم)[2].

٤- شَفَقَة النَّبي صلى الله عليه وسلم على الأطفال:

- عن شدَّاد بن الهاد رضي الله عنه قال: ((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء، وهو حامل حسنًا أو حسينًا، فتقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه، ثمَّ كبَّر للصَّلاة، فصلَّى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي، وإذا الصَّبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلمَّا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّلاة، قال النَّاس: يا رسول الله، إنَّك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننَّا أنَّه قد حدث أمر، أو أنَّه يُوحَى إليك. قال: كلُّ ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتَحَلَني[3] فكرهت أن أُعْجِلَه حتى يقضي حاجته))[4].

---

(١) رواه النسائي (٣٨/١)، وابن ماجه (٢٥٦)، وأحمد (٢٥٠/٢) (٧٤٠٣)، والدارمي (١٨٢/١). صحَّحه البغوي في ((شرح السنة)) (٢٧٢/١)، والنَّووي في ((المجموع)) (٩٥/٢)، وصحَّح إسناده ابن الملقن في ((البدر المنير)) (٢٩٧/٢) وقال: وأصله في مسلم. و صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (٣٨/١).

(٢) ((مرقاة المفاتيح)) لملا علي القاري (٣٨٠/١).

(٣) ارتَحَلَني: أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري. ((النهاية في غريب الأثر)) لابن الأثير (٥٠٣/٢).

(٤) رواه النسائي (٢٢٩/٢)، وأحمد (٤٩٣/٣) (١٦٠٧٦). وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (٢٢٩/٢)، والوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (٤٧٥).

- عن أبي قتادة رضي الله عنه: (أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلِّي وهو حامل أُمَامَة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي العاص ابن الرَّبيع، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها؟ قال يحي: قال مالك: نعم)[1].

فمن رحمته صلى الله عليه وسلم وشَفَقَته بأُمَامَة أنَّه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط، فيضعها على الأرض.

قال النَّووي: (وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشَّفَقَة على المؤمنين والمؤمنات، ورحمتهم ومواساتهم فيما أمكنه)[2].

نماذج من شَفَقَة الصَّحابة:

١- أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه:

- عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: ((كنت جالسًا عند النَّبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر[3]. فسلَّم، وقال: إنِّي كان بيني وبين ابن الخطَّاب شيء، فأسرعت إليه ثمَّ ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبي عليَّ، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر. ثلاثًا، ثمَّ إنَّ عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم فسلَّم، فجعل وجه النَّبي صلى الله عليه وسلم يتمعَّر[4]، حتى

(١) رواه البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣) واللَّفظ له.

(٢) ((شرح النَّووي على مسلم)) (١٤/١٦٦).

(٣) غامر: أي خاصم، والمعنى دخل في غمرة الخصومة، والغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحرب وغيره. وقيل هو من الغمر بكسر المعجمة وهو الحقد، أي صنع أمرا اقتضى له أن يحقد على من صنعه معه ويحقد الآخر عليه. ((فتح الباري)) لابن حجر (٧/٢٥).

(٤) يتمعَّر: أي تذهب نضارته من الغضب، وأصله من العر وهو الجرب، يقال: أمعر المكان إذا أجرب. ((فتح الباري)) لابن حجر (٧/٢٥).

أشْفَق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم. مرَّتين، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله بعثني إليكم، فقلتم: كَذَبْت. وقال أبو بكر: صَدَق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرَّتين، فما أُوذي بعدها))[1].

قال العيني: ((حتى أشْفَق أبو بكر)) أي: حتى خاف أبو بكر أن يكون من رسول الله إلى عمر ما يكره[2].

٢- عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

- عن الأصمعي، قال: (كلَّم النَّاس عبد الرَّحمن بن عوف أن يكلِّم عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في أن يلين لهم؛ فإنَّه قد أخاف الأبكار في خدورهنَّ[3]؛ فكلَّمه عبد الرَّحمن، فالتفت عمر إلى عبد الرَّحمن -رضي الله عنهما- فقال له: يا عبد الرَّحمن! إنِّي لا أجد لهم إلَّا ذلك، والله لو أنَّهم يعلمون ما لهم عندي من الرَّأفة والرَّحمة والشَّفَقَة؛ لأخذوا ثوبي عن عاتقي)[4].

نماذج من العلماء:

- **محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زُرعة:**

محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زُرعة ابن أبي زُرعة بن إبراهيم الثَّقفي.

قال ابن عساكر: ولي قضاء مصر في سنة أربع وثمانين ومائتين، في إمارة خمارويه.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦١).

(٢) ((عمدة القاري)) (١٦/١٨٠).

(٣) خدورهنَّ: الخدر ستر يكون للجارية البكر في ناحية البيت، وقيل: الخدور البيوت. ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١١٠).

(٤) رواه ابن قتيبة في ((المجالسة وجواهر العلم)) (٤/٤٣).

كان كثير الشَّفَقَة، رقيق القلب، يَغْرَم عن الفقراء والمستورين إذا أفلسوا، حتى كان بعضهم إذا أراد أن يتنزَّه، أخذ بيد رفيقه فادَّعى عليه عند القاضي، فيعترف ويبكي، ويدَّعي أنَّه لا يقدر على وفائه، ويسأل خصمه فيه، فلا يجيبه، فيغرم عنه.

وحكى بعض الشَّاميين أنَّه حصلت له إضاقة[١]، فقال لبعض أصدقائه: قدِّمني إلى القاضي فلعلَّه يعطيك عني شيئًا أنتفع به. ففعلت، وقلت: أيَّد الله القاضي: لي على هذا الرَّجل ستون درهمًا صحاحًا. فقال: ما تقول؟ فأقرَّ. فقال: أعطه حقَّه، فبكى، وقال: ما معي شيء. فقال لي: إن رأيت أن تنظره؟ فقلت: لا. قال: فصالحه. فقلت: لا. فقال إنَّك لقيط، فما الذي تريد؟ قلت: السِّجن. فقال: لا تفعل. فأدخل يده تحت مصلَّاه، فأخرج دراهم، فعدَّ لي ستين درهمًا، فدفعتها للرَّجل، وآليت أن لا أفعل ذلك بعدها[٢].

الأمثال في الشَّفَقَة:

- الشَّفيق بسوء ظنٍّ مولع.

(يراد أنَّ ذا الشَّفَقَة يضع سوء الظَّنِّ في غير موضعه)[٣].

- ما هذا الشَّفَقُ الطَّارِفُ حُبى.

(الشَّفَق: الشَّفَقَة، والطَّارف: الحادث، وحُبى: اسم امرأة)[٤].

---

(١) إضاقة: أضاقه إضاقة، وضيقه تضييقًا فهو ضيق، والضيق ضد السعة. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٦/٤٥-٤٦).

(٢) ((رفع الإصر عن قضاة مصر)) لابن حجر العسقلاني (ص ٣٩١).

(٣) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (١/٥٥٥).

(٤) ((مجمع الأمثال)) لأبي الفضل النيسابوري (٢/٢٨٦).

- أشْفَق من أمٍّ على ولد(١).

الشَّفَقَة في واحة الشِّعر:

قال الشَّاعر:

وصاحبٌ كان لي وكنتُ له ... أَشْفَقَ مِن والدٍ على ولدِ

كنَّا كساقٍ تسعَى بها قَدَمٌ ... أو كذراعٍ نِيطَت(٢) إلى عَضُدِ(٣)

وقال الشاعر:

قد كنت أُشْفِق مما قد فُجِعت به ... إن كان يدفعُ عن ذي اللَّوعة الشَّفقُ(٤)

وقال جرير:

يُسِرُّ لك البَغْضَاءَ كلُّ مُنَافِقٍ ... كما كلُّ ذي دِينٍ عليك شَفِيقُ(٥)

قال ابن هرمة:

وموعظةُ الشَّفِيقِ تكونُ داءً ... إذا خالفْتَ موعظةَ الشَّفِيقِ(٦)

وقال الشَّاعر:

رُبَّ رَحيمٍ مُشْفِقٍ مُتعطِّفٍ ... لا يَنتَهي بالحَصْر ما أَعطاه

كَمْ نعمةٍ أَولى وَكَمْ من كُرْبةٍ ... أَجلى وَكَمْ من مُبتَلى عافاه(٧)

(١) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (٥٣٨/١).

(٢) نيطت: ناطه نوطا: علقه. وانتاط: تعلق. والأنواط: المعاليق. ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص٨٩٢).

(٣) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٩٣/٣).

(٤) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (٧٢/١).

(٥) ((مجمع الأمثال)) لأبي الفضل النيسابوري (١٤١/١).

(٦) ((التذكرة السعدية)) لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي (ص ٣٣٨).

(٧) ((صيد الأفكار)) لحسين المهدي (٤٧١/١).

وقال محمَّد الإخسيكائي:

ارحمْ أخيَّ عبادَ اللهِ كلَّهم وانظرْ إليهمْ بعينِ اللُّطفِ والشَّفَقَه

وَقِّرْ كبيرَهمُ وارحَمْ صغيرَهمُ وراعِ في كلِّ خلقٍ وجْهَ مَن خَلَقَه[1]

قال: أبو الحسن الربعي:

الرِّفقُ ألطفُ ما اتَّخذْتَ رفيقًا ويسوءُ ظنُّكَ أن تكون شَفِيقًا

فخُذِ المجازَ من الزَّمانِ وأهلِه ودعِ التَّعمُّقَ فيه والتَّحْقيقا[2]



(١) ((معجم الأدباء)) لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٤٠).

(٢) ((مجمع الحكم والأمثال)) أحمد قبش (ص ١٩٤) (ص ١٩٣).



الشَّهَامَة



الشهامة

تعريف الشهامة لغةً واصطلاحًا:

- **تعريف الشهامة لغةً:**

الشهامة مصدر شهم، وهذه المادة تدلُّ على الذكاء.

والشهم: الذكي الفؤاد المتوقد، الجلد، والجمع شهام... وقد شهم الرجل، بالضم، شهامة وشهومة إذا كان ذكيًّا، فهو شهم أي جلد.

وقيل: الشهم معناه في كلام العرب: الحمول، الجيد القيام بما يحمل، الذي لا تلقاه إلا حمولًا، طيب النفس بما حمل[١].

- **معنى الشهامة اصطلاحًا:**

قال ابن مسكويه: (الشهامة هي: الحرص على الأعمال العظام توقعًا للأحدوثة الجميلة)[٢].

وقيل الشهامة هي: (الحرص على الأمور العظام؛ توقعًا للذكر الجميل عند الحقِّ والخلق)[٣].

وقيل هي: (عزة النفس وحرصها على مباشرة أمور عظيمة، تستتبع الذكر الجميل)[٤].

---

(١) ((كتاب العين)) للخليل بن أحمد (٣/٤٠٥)، ((الزاهر في معاني كلمات الناس)) لأبي بكر الأنباري (١/١١٤)، ((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (٤/١٩٦)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/٣٢٨)، ((معجم ديوان الأدب)) لأبي إبراهيم الفارابي (٢/٢٧٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٢٢٣).

(٢) ((تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق)) لابن مسكويه (ص ٣٠).

(٣) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص ٥).

(٤) ((المعجم الوسيط)) (ص ٤٩٨).

الترغيب في الشهامة:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣-٢٤].

قال ابن عطية: (استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب، أو مضطهد، أو من يشفق عليه، أو يأتي بمنكر من الأمر، فكأنه بالجملة في شر فأخبرتاه بخبرهما)(١).

قال الحجازي: (فثار موسى، وتحركت فيه عوامل الشهامة والرجولة، وسقى لهما، وأدلى بدلوه بين دلاء الرجال حتى شربت ماشيتهما)(٢).

- وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤].

قال السعدي: (ذكر سبحانه ما يقوّي قلوب المؤمنين، فذكر شيئين: الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك؛ لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من

---

(١) ((المحرر الوجيز)) (٤/٢٨٣).

(٢) ((التفسير الواضح)) للحجازي محمد محمود (٢/٨٢٥).

توالت عليه الآلام، وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يدال مرة، ويدال عليه أخرى)[(١)].

ثانيًا: في السنة النبوية

- عن أنس رضي الله عنه، قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتًا، قال: فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ[(٢)]، وهو متقلِّد سيفه، فقال: لم تراعوا[(٣)]، لم تراعوا، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجدته بحرًا[(٤)]، يعني الفرس))[(٥)].

قال القرطبي: (في هذا الحديث ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد جمع له من جودة ركوب الخيل، والشَّجَاعَة، والشهامة، والانتهاض الغائي في الحروب، والفروسية وأهوالها، ما لم يكن عند أحد من الناس، ولذلك قال أصحابه عنه: إنه كان أشجع الناس، وأجرأ الناس في حال الباس، ولذلك قالوا: إن الشجاع منهم كان الذي يلوذ بجنابه إذا التحمت الحروب، وناهيك به؛ فإنه ما ولَّى قطُّ منهزمًا، ولا تحدث أحد عنه قط بفرار)[(٦)].

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((إنَّ النبي صلى الله عليه

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) (ص ١٩٩).

(٢) عُرْيٍ: أي ليس عليه سرج ولا أداة، ولا يقال في الآدميين إنما يقال عريان. ((فتح الباري)) لابن حجر (٦/٧٠).

(٣) لم تراعوا: هي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيسًا، وإظهارًا للرفق بالمخاطب. ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/٤٥٧).

(٤) بحرا: أي واسع الجري ((شرح النووي على مسلم)) (١٥/٦٨).

(٥) رواه البخاري (٣٠٤٠) واللفظ له ومسلم (٢٣٠٧).

(٦) ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)) (٦/١٠٠).

وسلم لما رأى من الناس إدبارًا، قال: اللهم سبع كسبع يوسف[١]، فأخذتهم سنة حصت[٢] كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف[٣]، وينظر أحدهم إلى السماء، فيرى الدخان من الجوع، فأتاه أبو سفيان، فقال: يا محمد، إنك تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإنَّ قومك قد هلكوا، فادع الله لهم))[٤].

قال ابن حجر: (قوله: فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر؛ فإنها قد هلكت. إنَّما قال لمضر؛ لأن غالبهم كان بالقرب من مياه الحجاز، وكان الدعاء بالقحط على قريش وهم سكان مكة فسرى القحط إلى من حولهم، فحسن أن يطلب الدعاء لهم، ولعل السائل عدل عن التعبير بقريش؛ لئلا يذكرهم فيذكِّر بجرمهم، فقال: لمضر؛ ليندرجوا فيهم، ويشير أيضًا إلى أنَّ غير المدعو عليهم قد هلكوا بجريرتهم، وقد وقع في الرواية الأخيرة: وإن قومك هلكوا. ولا منافاة بينهما؛ لأنَّ مُضر أيضًا قومه وقد تقدم في المناقب أنه صلى الله عليه وسلم كان من مضر، قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمضر: إنك لجريء، أي: أتأمرني أن أستسقي لمضر مع ما هم عليه من المعصية والإشراك به؟!)[٥].

---

(١) سبع كسبع يوسف: أي: اجعل سنيهم سبعًا، أو ليكن سبعًا، ويُروى سبع بالرفع، وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: البلاء المطلوب عليهم سبع سنين، كالسنين السبع التي كانت في زمن يوسف، وهي السبع الشداد التي أصابهم فيها القحط، أو يكون المعنى: المدعو عليهم قحط كقحط يوسف. ((عمدة القاري)) لبدر الدين العيني (٢٨/٧).

(٢) حصّت: حصت بحاء وصاد مشددة مهملتين أي: استأصلته. ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (١٤١/١٧).

(٣) الجيف: جيفة بالكسر الميت الذي أنتن وقوله: (الجيف) بالكسر وفتح الياء هو الجمع. ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠١/١).

(٤) رواه البخاري (١٠٠٧) ومسلم (٢٧٩٨). واللفظ للبخاري.

(٥) ((فتح الباري)) (٥٧١/٨).

فالنبي صلى الله عليه وسلم رغم عداوة قريش وإيذائها للمؤمنين، لما جاءه أبو سفيان يطلب منه الاستسقاء لم يرفض لحسن خلقه، وشهامته، ورغبته في هدايتهم، فإنَّ الشهامة ومكارم الأخلاق مع الأعداء، لها أثر كبير في ذهاب العداوة، أو تخفيفها.

فوائد الشهامة:

١- الشهامة من مكارم الأخلاق الفاضلة.

٢- إنها من صفات الرجال العظماء.

٣- تشيع المحبة في النفوس.

٤- تزيل العداوة بين الناس.

٥- فيها حفظ الأعراض، ونشر الأمن في المجتمع.

٦- إنَّها علامة على علو الهمة، وشرف النفس.

موانع اكتساب صفة الشهامة:

١- قسوة القلب.

٢- الأنانية، وخذلان المسلمين، واللامبالاة بمعاناتهم:

إنَّ خذلان المسلم لأخيه المسلم أمر تنكره الشريعة، وإن من حق المسلم على المسلم أن لا يخذله، (وهو إن حدث ذريعة لخذلان المسلمين جميعًا حيث تنتشر عدوى الأنانية وحب الذات، وإيثار الراحة والمصلحة الخاصة على مشاركة الغير آلامهم وآمالهم، فيكثر التَّنصل من المسؤولية بين المسلمين، حتى يقضي عليهم أعداؤهم واحدًا تلو الآخر، فتموت فيهم خلال الآباء،

والشهامة، ونجدة الملهوف، وإغاثة المنكوب، وسوف يجنح المظلوم والضعيف إلى الأعداء طوعًا أو كرهًا، لما يقع به من ضيم وما يصيبه من خذلان من إخوانه ثم ينزوي بعيدًا عنهم، وتنقطع عرى الأخوة بينه وبين من خذلوه وأسلموه للأعداء)[١].

٣- الجبن والبخل:

فالشهامة إنما تقوم على الشَّجَاعَة لنجدة المحتاج، والكرم لإعانة أصحاب الحاجات، فمن فقدهما ضعفت شهامته، وماتت مروءته.

٤- الذُّل، والهوان، وضعف النفس:

فالإنسان الذليل والأمة الذليلة أبعد الناس عن النصرة، وتلبية نداء الإغاثة؛ ففاقد الشيء لا يعطيه.

٦- الحقد والعداوة والبغضاء.

٧- تشبه الرجال بالنساء في اللباس، كلبس الذهب والحرير:

قال ابن القيم: (حرم -الذهب- لما يورثه بملامسته للبدن من الأنوثة والتخنث، وضد الشهامة والرجولة)[٢].

الوسائل المعينة على اكتساب صفة الشهامة:

١- الصبر.

قال الراغب الأصفهاني: (الصبر يزيل الجزع، ويورث الشهامة المختصة بالرجولية)[٣].

(١) ((الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية)) لمحماس الجلعود (٢/٩٣٧).
(٢) ((زاد المعاد)) (٤/٧٣).
(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص ١١٥).

٢- الشَّجَاعَة.

٣- علو الهمة وشرف النفس.

فـ(من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، مركز السالب والموجب في شخصك، الرقيب على جوارحك، كبر الهمة يجلب لك بإذن الله خيرًا غير مجذوذ؛ لترقى إلى درجات الكمال، فيجري في عروقك دم الشهامة، والركض في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس واقفًا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور)(١).

٤- العدل والإنصاف.

٥- مصاحبة ذوي الشهامة والنجدة.

٦- الإيمان بالقضاء والقدر.

فـ (من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: أنه يدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج والقوة والشهامة؛ فالمجاهد في سبيل الله يمضي في جهاده ولا يهاب الموت؛ لأنه يعلم أن الموت لا بد منه، وأنه إذا جاء لا يؤخر؛ لا يمنع منه حصون ولا جنود، ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨] ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وهكذا حينما يستشعر المجاهد هذه الدفعات القوية من الإيمان بالقدر؛ يمضي في جهاده حتى يتحقق النصر على الأعداء، وتتوفر القوة للإسلام والمسلمين)(٢).

---

(١) ((حلية طالب العلم)) لبكر أبو زيد (ص ١٧٣)، ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) لعبد العزيز السلمان (٣/٤٠٩).

(٢) ((الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد)) لصالح الفوزان (٣٠٣ – ٣٠٤).

نماذج في الشهامة:

- **نماذج من حياة النبي صلى الله عليه وسلم:**

كان للنبي صلى الله عليه وسلم النصيب الأوفى من هذه الصفة، فكان صلوات الله وسلامه عليه ((أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتًا، قال: فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عري، وهو متقلد سيفه، فقال: لم تراعوا، لم تراعوا، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجدته بحرًا. يعني الفرس)).

- وعن أبي إسحاق قال سأل رجل البراء رضي الله عنه، فقال يا أبا عمارة أَوَلَّيتم يوم حنين؟ قال البراء وأنا أسمع: ((أما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُوَلِّ يومئذ، كان أبو سفيان بن الحارث آخذًا بعنان بغلته، فلما غشيه المشركون نزل، فجعل يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب))[1].

وغيرها من الآثار التي تدل على شهامة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- **نماذج من الصحابة رضي الله عنهم في الشهامة:**

- عن عبد الرحمن بن عوف قال: (إنِّي لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيَان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي، وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه. فقال لي الآخر سرًّا من صاحبه مثله، فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء)[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤٢).

(٢) رواه البخاري (٣٩٨٨).

قال ابن حجر: (قوله الصقرين.. شبههما به لما اشتهر عنه من الشَّجَاعَة، والشهامة، والإقدام على الصيد، ولأنه إذا تشبث بشيء لم يفارقه حتى يأخذه)[١].

- وعن أسلم، مولى عمر قال: (خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعًا، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم. فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحبًا بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا، وحمل بينهما نفقة وثيابًا، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها؟ قال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها، قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه)[٢].

- وعن سلمة بن الأكوع قال: ((بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره[٣] مع رباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه[٤] مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستاقه[٥] أجمع، وقتل راعيه،

---

(١) ((فتح الباري شرح صحيح البخاري)) (٣٠٨/٧).

(٢) رواه البخاري (٤١٦٠).

(٣) ظهره: الظهر: الإبل التي يحمل عليها وتركب. يقال: عند فلان ظهر: أي إبل. ((النهاية في غريب الأثر)) لابن الأثير (٣٦٤/٣).

(٤) أنديه: معناه أن يورد الماشية الماء فتسقى قليلا ثم ترسل في المرعى ثم ترد الماء فترد قليلا ثم ترد إلى المرعى. ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (١٧٨/١٢).

(٥) استاقه: من السوق وهو السير العنيف. ((فتح الباري)) لابن حجر (٣٣٩/١).

قال: فقلت: يا رباح، خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المشركين قد أغاروا على سرحه[١]، قال: ثم قمت على أكمة[٢]، فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثًا: يا صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز، أقول: أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرُّضَّع[٣]، فألحق رجلًا منهم فأصك[٤] سهمًا في رحله، حتى خلص نصل السهم إلى كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضع قال: فوالله، ما زلت أرميهم وأعقر[٥] بهم، فإذا رجع إليَّ فارس أتيت شجرة، فجلست في أصلها، ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل، فدخلوا في تضايقه، علوت الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة، قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهري، وخلوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحًا، يستخفون ولا يطرحون شيئًا إلا جعلت عليه آرامًا[٦] من الحجارة يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حتى أتوا متضايقًا من ثنية[٧]، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يتضحون -يعني يتغدون-

(١) السرح: أي: الإبل التي ترعي. ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٣١).

(٢) أكمة: دون الجبل وأعلى من الرابية وقيل دون الرابية. ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (٦/١٩٣).

(٣) الرضع جمع رضيع أي لئيم والمعنى يوم هلاك اللئام. انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٢٣).

(٤) الصك: الضرب الشديد بالشيء العريض، وقيل: هو الضرب عامة بأي شيء كان. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/٤٥٦).

(٥) عقره أي: جرحه. انظر: ((المصدر السابق)) (٤/٥٩٢).

(٦) آرام جمع إرم، حجارة تنصب علما في المفازة. انظر: ((المصدر السابق)) (١٢/١٤).

(٧) الثنية من الجبل ما يحتاج في قطعه وسلوكه إلى صعود وحدور فكأنه يثني السير. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٧/٢٩٥).

وجلست على رأس قرن[١]، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح[٢]، والله، ما فارقنا منذ غلس[٣] يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا، قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال: فصعد إليَّ منهم أربعة في الجبل، قال: فلما أمكنوني من الكلام، قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع، والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم، لا أطلب رجلًا منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم: أنا أظنُّ، قال: فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر، قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي، قال: فأخذت بعنان[٤] الأخرم، قال: فولوا مدبرين، قلت: يا أخرم، احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أنَّ الجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، فلا تحُل بيني وبين الشهادة، قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه ولحق أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن، فطعنه فقتله، فوالذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم، لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولا غبارهم شيئًا حتى يعدلوا قبل

---

(١) رأس قرن: هو كل جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير. انظر: ((شرح مسلم)) للنووي (١٢/١٧٩).

(٢) البرح: الشدة والشر، والأذى والعذاب الشديد والمشقة. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٦/٣٠٤).

(٣) الغلس: ظلام آخر الليل. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٦/١٥٦).

(٤) العنان، بكسر العين لجام الفرس. انظر: ((عمدة القاري)) لبدر الدين العيني (١٤/١٧٢).

غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له: ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم، فخليتهم عنه -يعني أجليتهم عنه- فما ذاقوا منه قطرة، قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية[١]، قال: فأعدو فألحق رجلاً منهم، فأصكه بسهم في نغض[٢] كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضَّع. قال: يا ثكلته أمه، أكوعُه بُكرة؟[٣] قال: قلت: نعم يا عدو نفسه، أكوعك بكرة، قال: وأردوا[٤] فرسين على ثنية، قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ولحقني عامر بسطيحة[٥] فيها مذقة[٦] من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي حلأتهم[٧] عنه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ تلك الإبل، وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها، قال: قلت: يا رسول الله، خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا

(١) الثنية من الجبل ما يحتاج في قطعه وسلوكه إلى صعود وحدور فكأنه يثني السير. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٧/٢٩٥).

(٢) النغض: العظم الدقيق الذي على طرف الكتف أو على أعلى الكتف. انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٣/٢٧٦).

(٣) البكرة: الغدوة. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (١٠/٢٣٦).

(٤) أردوا فرسين: أهلكوهما وأتعبوهما حتى أسقطوهما. تركوهما. انظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٢/١٨١).

(٥) السطيحة: من أواني المياه. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٦/٤٧٢).

(٦) المذقة: الطائفة من اللبن. انظر: ((المصدر السابق)) (٢٦/٣٨٢).

(٧) حلأتهم أي طردتهم. انظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٢/١٨١).

قتلته، قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه في ضوء النار، فقال: يا سلمة، أتراك كنت فاعلًا؟ قلت: نعم، والذي أكرمك، فقال: إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان، قال: فجاء رجل من غطفان، فقال: نحر لهم فلان جزورًا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارًا، فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجَّالتنا[١] سلمة، قال: ثم أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين: سهم الفارس، وسهم الراجل، فجمعهما لي جميعًا، ثم أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه على العضباء[٢] راجعين إلى المدينة))[٣].

- حادثة تبين لنا شهامة عثمان بن طلحة رضي الله عنه، تقول أمُّ سلمة رضي الله عنها: ((... وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرَّق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كلَّ غداة فأجلس بالأبطح[٤]، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبًا منها، حتى مرَّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها، قالت: فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت.

---

(١) رجالة جمع راجل وهو الماشي على قدمه. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٩/٣٧).

(٢) العضباء: اسم ناقة النبي، صلى الله عليه وسلم، اسم لها علم، وليس من العضب الذي هو الشق في الأذن. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١/٦٠٩).

(٣) رواه البخاري (٤١٩٤) ومسلم (١٨٠٧) واللفظ له.

(٤) الأبطح: يعني أبطح مكة وهو مسيل واديها ويجمع على البطاح والأباطح. ومنه قيل قريش البطاح هم الذين ينزلون أباطح مكة وبطحاءها. ((النهاية في غريب الأثر)) لابن الأثير (١/٣٤٨).

قالت: وردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق الله، قالت: قلت: [أتبلغ] بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد؟ قلت: لا والله إلا الله وابني هذا، قال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام[1] البعير فانطلق معي يهوي به، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني، حتى إذا نزلنا استأخر ببعيري فحطَّ عنه، ثم قيَّده في الشجرة، ثم تنحَّى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله[2]، ثم استأخر عني، فقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاد بي حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلًا - فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة، قال: وكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب أبو سلمة، وما رأيت صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة))[3].

---

(١) خطام: خطام البعير أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل في أحد طرفيه حلقة ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ثم يقاد البعير ثم يثنى على مخطمه. ((النهاية في غريب الأثر)) لابن الأثير (١٢٠/٣).

(٢) رحله: رَحَل البعير يرْحَله رَحْلاً فهو مرحول ورَحِيل وارْتَحَله: جعل عليه الرَّحْل ورَحَله رَحَلةً: شدَّ عليه أَداته. ((لسان العرب)) لابن منظور (٢٦٥/١١).

(٣) ((سيرة ابن هشام)) (٤٦٩/١)، وذكره ابن منده في ((الفوائد)) (٢٩٢-٢٩٣).

الشهامة في واحة الشعر:

قال أوس:

حتى أُتيحَ له أخو قَنَص شهمٌ، يُطِرُّ[١] ضواريًا[٢] كُثَبَا[٣]

وقال ابن سيده:

شهمٌ إذا اجتمع الكماةُ[٤]، وألهمتْ أفواهها بأواسطِ الأوتارِ[٥]

وقال الشاعر:

شهمُ الفؤادِ ذكاؤه ما مثلُه عندَ العزيمةِ في الأنامِ ذكاءُ

وقال الشاعر:

يابسُ الجنبين مِن غيرِ بُؤسٍ ونَدِي الكفين شهمٌ مدِلُّ[٦]

وقال ابن هرمة:

حييٌّ تقيٌّ ساكنُ الطيرِ وادعٌ إذا لم يُتَرْ، شهمٌ إذا تِير مانعُ[٧]

وقال الشاعر:

جميعُ الكتبِ يدركُ مَن قراها فتورٌ أو كلالٌ أو سآمهْ

(١) أطره يطره إطرارا إذا طرده. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/٤٩٨).
(٢) الضواري: الأسود. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٨/٤٧٠).
(٣) ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/٤٩٨).
(٤) الكماة جمع (الكمي) أي: الشجاع (المتكمي) في سلاحه أي المتغطي المتستر بالدرع والبيضة. انظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٢٧٣).
(٥) الأوتار: جمع وتر القوس. انظر: ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (٥/١٤٨).
(٦) ((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (٩/ ٤٠٢). وأدل عليه وتدلل: انبسط. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/٢٤٧).
(٧) ((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (٩/٥٣١).

سوى القرآنِ فافهمْ واستمعْ لي وقول المصطفى يا ذا الشهامةْ[١]

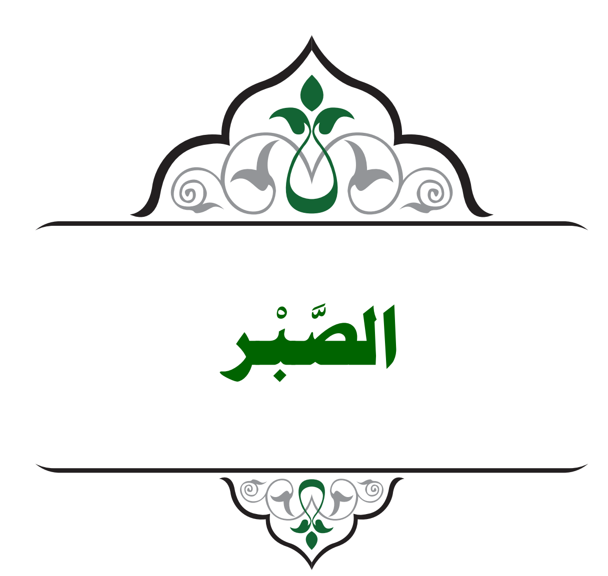
وقال الشاعر:

لك في الشهامةِ والصرامةِ موقفٌ لصفاته إعجازُ كلِّ مفوَّهِ[٢]



(١) ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) لعبد العزيز السلمان (١/٤٧٤).

(٢) ((البرق الشامي)) لعماد الدين الأصبهاني (٥/٦٤).



الصَّبْر

الصَّبْر

معنى الصبر لغةً واصطلاحًا:

• معنى الصبر لغةً:

الصَّبْرُ نقيض الجَزَع، صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا فهو صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور والأُنثى صَبُور أَيضًا بغير هاء وجمعه صُبُرٌ.وأَصل الصَّبْر الحَبْس وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه، والصبر: حبس النفس عن الجزع[١].

• معنى الصبر اصطلاحًا:

(الصبر هو حبس النفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره)[٢].

وقيل هو:(ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله)[٣].

وقيل الصبر: (حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه)[٤].

الفرق بين الصبر، والتصبر، والاصطبار، والمصابرة، والاحتمال:

(الفرق بين هذه الأسماء بحسب حال العبد في نفسه وحاله مع غيره:

- فإن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسن؛ إن كان خلقًا له وملكة سمي صبرًا.

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (ص ٧٠٦)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/٤٣٧).

(٢) ((رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه)) (ص ١٨).

(٣) ((التعريفات)) للجرجاني (ص ١٣١).

(٤) ((مفردات ألفاظ القرآن الكريم)) للراغب الأصفهاني (٤٧٤). وقريب منه تعريف ابن القيم الصبر بأنه: ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية. ((الروح)) (ص ٢٤١).

- وإن كان بتكلف وتمرن وتجرع لمرارته سمي تصبرًا.

كما يدل عليه هذا البناء لغةً، فإنه موضوع للتكلف كالتحلم والتشجع والتكرم والتحمل ونحوها، وإذا تكلفه العبد واستدعاه صار سجية له.

كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ومن يتصبر يصبره الله))[(١)]. وكذلك العبد يتكلف التعفف حتى يصير التعفف له سجية، كذلك سائر الأخلاق ...

- وأما الاصطبار فهو أبلغ من التصبر:

فإنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب، فالتصبر مبدأ الاصطبار، كما أنَّ التكسب مقدمة الاكتساب، فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطبارًا.

- وأما المصابرة فهي مقاومة الخصم في ميدان الصبر:

فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة، قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ** ﴾. [آل عمران: ٢٠٠] فأمرهم بالصبر، وهو حال الصابر في نفسه، والمصابرة وهي حالة في الصبر مع خصمه والمرابطة، وهي الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة، فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى، وأن الفلاح موقوف عليها فقال: ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو منه في الظاهر؛ فهي لزوم ثغر القلب؛ لئلا يدخل منه

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته)[١].

والفرق بين الاحتمال والصبر:

(أنَّ الاحتمال للشيء يفيد كظم الغيظ فيه، والصبر على الشدة يفيد حبس النفس عن المقابلة عليه بالقول والفعل، والصبر عن الشيء يفيد حبس النفس عن فعله، وصبرت على خطوب الدهر، أي: حبست النفس عن الجزع عندها، ولا يستعمل الاحتمال في ذلك؛ لأنك لا تغتاظ منه)[٢].

لماذا سمي الصبر صبرًا؟

حكى أبو بكر بن الأنباري عن بعض العلماء أنه قال:(إنما سمي الصبر صبرًا؛ لأن تمرره في القلب وإزعاجه للنفس كتمرر الصبر[٣] في الفم)[٤].

الترغيب في الصبر:

أولًا: في القرآن الكريم

الصبر من أكثر الأخلاق التي اعتنى بها دين الإسلام؛ لذا تكرر ذكره في القرآن في مواضع كثيرة.

قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: (ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعًا)[٥].

وقد سيق الصبر في القرآن في عدة أنواع ذكرها ابن القيم في كتابه (عدة الصابرين) ونحن نذكر بعضها:

---

(١) ((عدة الصابرين)) لابن القيم (ص ٤١) - بتصرف.

(٢) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص ٢٢).

(٣) الصبر: هو الدواء المر المعروف. انظر: ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (٤/٣١٧).

(٤) ((ذم الهوى)) لابن الجوزي (ص ٥٨).

(٥) ((عدة الصابرين)) لابن القيم (ص ١١٣).

أحدها: الأمر به، كقوله: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧] وقال: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [الطور: ٤٨].

- الثاني: النهي عما يضاده، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ [القلم: ٤٨].

- الثالث: تعليق الفلاح به، كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . [آل عمران: ٢٠٠] فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور.

- الرابع: الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره، كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [القصص: ٥٤] وقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

- الخامس: تعليق الإمامة في الدين، به وباليقين، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤][1].

ثانيًا: في السنة النبوية

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر))[2].

---

(١) ((عدة الصابرين)) لابن القيم – بتصرف يسير (ص ١١٤).

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩).

(قوله صلى الله عليه وسلم: ((ومن يتصبر)): أي يطلب توفيق الصبر من الله؛ لأنه قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾. [النحل: ١٢٧] أي يأمر نفسه بالصبر ويتكلف في التحمل عن مشاقه، وهو تعميم بعد تخصيص؛ لأن الصبر يشتمل على صبر الطاعة والمعصية والبلية، أو من يتصبر عن السؤال والتطلع إلى ما في أيدي الناس بأن يتجرع مرارة ذلك ولا يشكو حاله لغير ربه. ((يصبِّره الله)): بالتشديد أي: يسهل عليه الصبر، فتكون الجمل مؤكدات. ويؤيد إرادة معنى العموم قوله: ((وما أعطي أحد من عطاء)): أي معطى أو شيئًا، ((أوسع)): أي أشرح للصدر، ((من الصبر)): وذلك لأن مقام الصبر أعلى المقامات؛ لأنه جامع لمكارم الصفات والحالات)[1].

- وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنَّ الصبر عند الصدمة الأولى، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري. قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوَّابين[2]، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى))[3].

قال ابن القيم: (فإنَّ مفاجئات المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب، وتزعجه بصدمها، فإن صبر الصدمة الأولى انكسر حدها، وضعفت قوتها، فهان عليه استدامة الصبر، وأيضًا فإنَّ المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه، وهي الصدمة الأولى، وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطَّن لها،

(١) ((عون المعبود شرح سنن أبي داود)) لشمس الحق العظيم أبادي (٥/٥٩).
(٢) البواب: اللازم للباب، وحرفته البوابة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١/٢٢٣).
(٣) رواه البخاري (١٢٨٣).

وعلم أنَّه لا بد له منها فيصير صبره شبيه الاضطرار، وهذه المرأة لما علمت أنَّ جزعها لا يجدي عليها شيئًا؛ جاءت تعتذر إلى النبي كأنها تقول له قد صبرت، فأخبرها أنَّ الصبر إنما هو عند الصدمة الأُولى)[١].

- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: ((أنه قال لعطاء: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت؛ ولك الجنة. وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. قالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها))[٢].

- وبيَّن صلى الله عليه وسلم أنَّ من صبر على فقد عينيه عوضه الله الجنة، فعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنَّ الله- عز وجل- قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر عوضته منهما الجنة- يريد عينيه))[٣].

قال ابن بطال: (في هذا الحديث حجة في أنَّ الصبر على البلاء ثوابه الجنة، ونعمة البصر على العبد، وإن كانت من أجلِّ نعم الله تعالى فعوض الله عليها الجنة أفضل من نعمتها في الدنيا؛ لنفاد مدة الالتذاذ بالبصر في الدنيا، وبقاء مدة الالتذاذ به في الجنة)[٤].

- وعن صهيب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته

(١) ((عدة الصابرين)) (ص ١٢١).
(٢) رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).
(٣) رواه البخاري (٥٦٥٣).
(٤) ((شرح صحيح البخاري)) (٩/٣٧٧).

سرَّاء[١] شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء[٢] صبر فكان خيرًا له))[٣].

(قوله: ((عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمره كله له خير)). أي: أن الرسول عليه الصلاة والسلام أظهر العجب على وجه الاستحسان لأمر المؤمن، أي: لشأنه، فإنَّ شأنه كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن.

ثم فصل الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الأمر الخير فقال: ((إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له)). هذه حال المؤمن وكل إنسان، فإنه في قضاء الله وقدره بين أمرين: إما سراء وإما ضراء، والناس في هذه الإصابة ينقسمون إلى قسمين: مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له، إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله فكان خيرًا له، فنال بهذا أجر الصابرين.

وإن أصابته سراء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله عز وجل.

فيشكر الله فيكون خيرًا له، ويكون عليه نعمتان: نعمة الدين ونعمة الدنيا، نعمة الدنيا بالسراء، ونعمة الدين بالشكر هذه حال المؤمن.

وأما الكافر فهو على شرٍّ -والعياذ بالله- إن أصابته الضراء لم يصبر بل يضجر، ودعا بالويل والثبور، وسبَّ الدهر، وسبَّ الزمن...

والحديث فيه الحث على الصبر على الضراء، وأن ذلك من خصال

---

(١) السراء: الرخاء. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٦١/٤).

(٢) الضراء: نقيض السراء. انظر: ((المصدر السابق)) (٤٨٣/٤).

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٩).

المؤمنين، فإذا رأيت نفسك عند إصابة الضراء صابرًا محتسبًا، تنتظر الفرج من الله سبحانه وتعالى، وتحتسب الأجر على الله فذلك عنوان الإيمان، وإن رأيت بالعكس فلُمْ نفسك، وعدِّل مسيرك، وتُبْ إلى الله)[١].

أقوال السلف والعلماء في الصبر:

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنَّ أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أنَّ الصبر كان من الرجال كان كريمًا)[٢].

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا إنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس باد الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له)[٣].

وقال: (الصبر مطية لا تكبو[٤]، والقناعة سيف لا ينبو[٥])[٦].

- وقال عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر: (ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر، إلا كان ما عوَّضه خيرًا مما انتزع منه، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠])[٧].

- (وجاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقًا من حاله ومعاشه، واغتمامًا بذلك، فقال: (أيسرك ببصرك مئة ألف؟ قال: لا. قال: فبسمعك؟ قال: لا. قال:

---

(١) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (١/١٩٧-١٩٩) (بتصرف).
(٢) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٢٣).
(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٢٤).
(٤) كبا يكبو كبوة إذا عثر. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/٢١٣).
(٥) نبا حد السيف إذا لم يقطع. انظر: ((المصدر السابق)) (١٥/٣٠١).
(٦) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٢٩٤).
(٧) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٣٠).

فبلسانك؟ قال: لا. قال: فبعقلك؟ قال: لا... في خلال. وذكَّره نعم الله عليه، ثم قال يونس: أرى لك مئين ألوفًا وأنت تشكو الحاجة؟!)[1].

- وعن إبراهيم التيمي، قال: (ما من عبد وهب الله له صبرًا على الأذى، وصبرًا على البلاء، وصبرًا على المصائب، إلا وقد أُوتي أفضل ما أوتيه أحد، بعد الإيمان بالله)[2].

- وعن الشعبي، قال شريح: (إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني)[3].

- وقال ميمون بن مهران: (الصبر صبران: الصبر على المصيبة حسن، وأفضل من ذلك الصبر عن المعاصي)[4].

- وعن أبي ميمون ، قال: (إن للصبر شروطًا، قلت -الراوي-: ما هي يا أبا ميمون؟ قال: إن من شروط الصبر أن تعرف كيف تصبر؟ ولمن تصبر؟ وما تريد بصبرك؟ وتحتسب في ذلك وتحسن النية فيه، لعلك أن يخلص لك صبرك، وإلا فإنما أنت بمنزلة البهيمة نزل بها البلاء فاضطربت لذلك، ثم هدأ فهدأت، فلا هي عقلت ما نزل بها فاحتسبت وصبرت، ولا هي صبرت، ولا هي عرفت النعمة حين هدأ ما بها، فحمدت الله على ذلك وشكرت)[5].

- وقال أبو حاتم: (الصبر على ضروب ثلاثة: فالصبر عن المعاصي، والصبر

(١) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٦/٢٩٢).
(٢) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٢٨).
(٣) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٤/١٠٥).
(٤) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٢٩).
(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٥٣).

على الطاعات، والصبر عند الشدائد المصيبات، فأفضلها الصبر عن المعاصي، فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل، حتى يرتقي بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا في حال العسر واليسر معًا)[١].

- وقال زياد بن عمرو: (كلنا نكره الموت وألم الجراح، ولكنا نتفاضل بالصبر)[٢].

- وقال زهير بن نعيم: (إنَّ هذا الأمر لا يتمُّ إلا بشيئين: الصبر واليقين، فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتمَّ، وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتمَّ، وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلًا فقال: مثل اليقين والصبر مثل فَدادين[٣] يحفران الأرض، فإذا جلس واحد جلس الآخر)[٤].

- وقال أبو عبد الرحمن المغازلي: (دخلت على رجل مبتلى بالحجاز، فقلت: كيف تجدك؟ قال: أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نِعَمه عليَّ أكثر من أن أحصيها، قلت: أتجد لما أنت فيه ألمًا شديدًا؟ فبكى ثم قال: سلا بنفسي عن ألم ما بي ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير، قال: ثم غشي عليه فمكث مليًّا[٥]،ثم أفاق، فقال: إني لأحسب أنَّ لأهل الصبر غدًا في القيامة مقامًا شريفًا لا يتقدمه من ثواب

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٢).

(٢) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٤٤).

(٣) الفدادين، مخففة، واحدها فدان، بالتشديد؛ عن أبي عمرو، وهي البقر التي يحرث بها. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/٣٣٠).

(٤) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (٤/٨).

(٥) الملي: الزمان الطويل. انظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٢٩٨).

الأعمال شيء، إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى)[١].

- وعن عمرو بن قيس الملائي: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال: (الرضا بالمصيبة، والتسليم)[٢].

- وعن ميمون بن مهران قال (ما نال عبد شيئًا من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر)[٣].

- وعن الحسن قال: (سبَّ رجل رجلًا من الصدر الأول، فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه، وهو يتلو: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] قال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون)[٤].

- وقال يحيى بن معاذ: (حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء إن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية، وإن جزعت نفسه مما يلقى طالت به علة الضنا)[٥].

- وقال أبو حاتم: (الصبر جماع الأمر، ونظام الحزم، ودعامة العقل، وبذر الخير، وحيلة من لا حيلة له، وأول درجته الاهتمام، ثم التيقظ، ثم التثبت، ثم التصبر، ثم الصبر، ثم الرضا، وهو النهاية في الحالات)[٦].

- وقال عمر بن ذر: (من أجمع على الصبر في الأمور فقد حوى الخير،

---

(١) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٨٠).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٨٦).
(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٢).
(٤) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٨٧).
(٥) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (٤/٩٤).
(٦) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦١).

والتمس معاقل البر وكمال الأجور)[١].

فوائد الصبر:

من فوائد الصبر أنه[٢]:

١- دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢- يورث الهداية في القلب.

٣- يثمر محبة الله ومحبة الناس.

٤- سبب للتمكين في الأرض.

٥- الفوز بالجنة والنجاة من النار.

٦- معية الله للصابرين.

٧- الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

٨- مظهر من مظاهر الرجولة الحقة.

٩- صلاة الله ورحمته وبركاته على الصابرين.

أقسام الصبر:

ينقسم الصبر بعدة اعتبارات:

- فباعتبار محله ينقسم إلى ضربين:

(ضرب بدني وضرب نفساني، وكل منهما نوعان: اختياري واضطراري، فهذه أربعة أقسام:

---

(١) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ١١٣).

(٢) ((نضرة النعيم)) (٦/٢٤٧١-٢٤٧٢).

الأول: البدني الاختياري: كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختيارًا وإرادة.

الثاني: البدني الاضطراري: كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات، والبرد والحر وغير ذلك.

الثالث: النفساني الاختياري: كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعًا ولا عقلًا.

الرابع: النفساني الاضطراري: كصبر النفس عن محبوبها قهرًا إذا حيل بينها وبينه.

فإذا عرفت هذه الأقسام فهي مختصة بنوع الإنسان دون البهائم، ومشاركة للبهائم في نوعين منها، وهما: صبر البدن والنفس الاضطراريين، وقد يكون بعضها أقوى صبرًا من الإنسان، وإنما يتميز الإنسان عنها بالنوعين الاختياريين، وكثير من الناس تكون قوة صبره في النوع الذي يشارك فيه البهائم، لا في النوع الذي يخص الإنسان فيعد صابرًا وليس من الصابرين... فالإنسان منا إذا غلب صبره باعث الهوى والشهوة التحق بالملائكة، وإن غلب باعث الهوى والشهوة صبره التحق بالشياطين، وإن غلب باعث طبعه من الأكل والشرب والجماع صبره التحق بالبهائم، قال قتادة: خلق الله سبحانه الملائكة عقولًا بلا شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلًا وشهوة، فمن غلب عقله شهوته فهو من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو كالبهائم، ولما خلق الإنسان في ابتداء أمره ناقصًا، لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه، فصبره في هذه الحال بمنزلة صبر البهائم، وليس له قبل تمييزه قوة الاختيار، فإذا ظهرت فيه شهوة اللعب، استعد لقوة الصبر

الاختياري على ضعفها فيه، فإذا تعلقت به شهوة النكاح، ظهرت فيه قوة الصبر، وإذا تحرك سلطان العقل وقوي، استعان بجيش الصبر)[١].

- وباعتبار متعَلَّقه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

(صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها...

فأما الذي من جهة الرب فهو أنَّ الله تعالى له على عبده حكمان: حكم شرعي ديني، وحكم كوني قدري، فالشرعي متعلِّق بأمره، والكوني متعلِّق بخلقه، وهو سبحانه له الخلق والأمر، وحكمه الديني الطلبي نوعان: بحسب المطلوب، فإنَّ المطلوب إن كان محبوبًا له فالمطلوب فعله إما واجبًا وإما مستحبًّا، ولا يتم ذلك إلا بالصبر، وإن كان مبغوضًا له فالمطلوب تركه إما تحريمًا وإما كراهة، وذلك أيضًا موقوف على الصبر، فهذا حكمه الديني الشرعي، وأما حكمه الكوني فهو ما يقضيه ويقدره على العبد من المصائب التي لا صنع له فيها، ففرضه الصبر عليها، وفي وجوب الرضا بها قولان للعلماء، وهما وجهان في مذهب أحمد، أصحهما أنه مستحب، فمرجع الدين كله إلى هذه القواعد الثلاث: فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور، وأما الذي من جهة العبد فإنه لا ينفك عن هذه الثلاث ما دام مكلفًا، ولا تسقط عنه هذه الثلاث حتى يسقط عنه التكليف، فقيام عبودية الأمر والنهي والقدر على ساق الصبر، ولا تستوي إلا عليه كما لا تستوي السنبلة إلا على ساقها،

---

(١) ((عدة الصابرين)) لابن قيم الجوزية -بتصرف- (ص ٤٣).

فالصبر متعلق بالأمور والمحظور والمقدور بالخلق والأمر)[١].

– وباعتبار تعلق الأحكام الخمسة به ينقسم إلى خمسة أقسام:

(إلى واجب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح.

فالصبر الواجب ثلاثة أنواع:

أحدها: الصبر عن المحرمات.

والثاني: الصبر على أداء الواجبات.

والثالث الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها، كالأمراض والفقر وغيرها.

وأما الصبر المندوب: فهو الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

وأما المحظور فأنواع: أحدها الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت، وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة حرام، إذا خاف بتركه الموت، قال طاوس وبعده أحمد: من اضطر إلى أكل الميتة والدم فلم يأكل فمات دخل النار...

ومن الصبر المحظور: صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيات أو حريق أو ماء أو كافر يريد قتله، بخلاف استسلامه وصبره في الفتنة وقتال المسلمين، فإنه مباح له، بل يستحب، كما دلت عليه النصوص الكثيرة.

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المسألة بعينها فقال: ((كن

(١) ((عدة الصابرين)) لابن قيم الجوزية – بتصرف- (ص ٥٢).

كخير ابني آدم))[١]. وفي لفظ: ((كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل))[٢]...

وأما الصبر المكروه فله أمثلة:

أحدها: أن يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه.

الثاني: صبره عن جماع زوجته إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به.

الثالث: صبره على المكروه.

الرابع: صبره عن فعل المستحب.

وأما الصبر المباح: فهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين، خُيِّر بين فعله وتركه والصبر عليه.

وبالجملة فالصبر على الواجب واجب وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام. والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه، والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه، والصبر عن المباح مباح)[٣].

الصبر المحمود وأقسامه:

قسم العلماء الصبر المحمود إلى أقسام عدة، وذكر له ابن القيم ثلاثة أنواع:

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وأحمد (٤/٤١٦) (١٩٧٤٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه. وصححه ابن دقيق العيد في ((الاقتراح)) (١٠١)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (٢٠٤٩).

(٢) رواه أحمد (٥/١١٠) (٢١١٠١)، والطبراني في ((الكبير)) (٤/٥٩)، وأبو يعلى (١٣/١٧٦) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه. قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٧/٣٠٥): [فيه من] لم أعرف، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الألباني في ((إرواء الغليل)) (٨/١٠٣): رجاله ثقات غير الرجل الذي لم يسم وله شاهد.

(٣) ((عدة الصابرين)) لابن قيم الجوزية –بتصرف– (ص ٥٧).

(صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله:

فالأول: الاستعانة به ورؤيته أنه هو المصبر، وأنَّ صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾. [النحل: ١٢٧] يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس والاستحماد إلى الخلق وغير ذلك من الأعراض.

والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها مقيمًا بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها، فهذا معنى كونه صابرًا مع الله، أي قد جعل نفسه وقفًا على أوامره ومحابِّه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين)[1].

وقسَّمه الماوردي إلى ستة أقسام فقال:

(فأول أقسامه وأولاها: الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله عنه؛ لأن به تخلص الطاعة، وبها يصحُّ الدين، وتؤدَّى الفروض، ويُستحقُّ الثواب، كما قال في محكم الكتاب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].. وليس لمن قلَّ صبره على طاعة حظٌّ من برٍّ ولا نصيب من صلاح ...

وهذا النوع من الصبر إنما يكون لفرط الجزع وشدة الخوف، فإنَّ من خاف

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٤٢٩).

الله عزَّ وجلَّ صبر على طاعته، ومن جزع من عقابه وقف عند أوامره.

الثاني: الصبر على ما تقتضيه أوقاته من رزية قد أجهده الحزن عليها، أو حادثة قد كدَّه الهمُّ بها، فإنَّ الصبر عليها يعقبه الراحة منها، ويكسبه المثوبة عنها. فإن صبر طائعًا وإلا احتمل همًّا لازمًا، وصبر كارهًا آثمًا.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور...

الثالث: الصبر على ما فات إدراكه من رغبة مرجوة، وأعوز نيله من مسرة مأمولة، فإن الصبر عنها يعقب السلو منها، والأسف بعد اليأس خرق.

...وقال بعض الحكماء: اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله، مثل ما لا يخطر ببالك فلم تقله.

الرابع: الصبر فيما يخشى حدوثه من رهبة يخافها، أو يحذر حلوله من نكبة يخشاها، فلا يتعجل هم ما لم يأت، فإنَّ أكثر الهموم كاذبة، وإنَّ الأغلب من الخوف مدفوع...

وقال الحسن البصري رحمه الله: لا تحملنَّ على يومك همَّ غدك، فحسب كلِّ يوم همُّه.

الخامس: الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها، وينتظر من نعمة يأملها، فإنه إن أدهشه التوقع لها، وأذهله التطلع إليها انسدت عليه سبل المطالب، واستفزه تسويل المطامع، فكان أبعد لرجائه، وأعظم لبلائه .

وإذا كان مع الرغبة وقورًا، وعند الطلب صبورًا، انجلت عنه عماية الدهش،

وانجابت عنه حيرة الوله، فأبصر رشده وعرف قصده. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الصبر ضياء))[١]. يعني - والله أعلم - أنه يكشف ظلم الحيرة، ويوضح حقائق الأمور.

السادس: الصبر على ما نزل من مكروه، أو حلَّ من أمر مخوف.

فبالصبر في هذا تنفتح وجوه الآراء، وتستدفع مكائد الأعداء، فإنَّ من قلَّ صبره عزب رأيه، واشتد جزعه، فصار صريع همومه، وفريسة غمومه. وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]... واعلم أنَّ النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر)[٢].

مراتب الصبر:

ذكر ابن القيم أربعة مراتب للصبر:

(إحداها: مرتبة الكمال، وهي مرتبة أولي العزائم، وهي الصبر لله وبالله.

فيكون في صبره مبتغيًا وجه الله صابرًا به، متبرئًا من حوله وقوته، فهذا أقوى المراتب وأرفعها وأفضلها.

الثانية: أن لا يكون فيه لا هذا ولا هذا، فهو أخس المراتب وأردأ الخلق، وهو جدير بكل خذلان وبكل حرمان.

الثالثة: مرتبة من فيه صبر بالله، وهو مستعين متوكل على حوله وقوته، متبرئ من حوله هو وقوته، ولكن صبره ليس لله؛ إذ ليس صبره فيما هو مراد الله الديني منه، فهذا ينال مطلوبه ويظفر به، ولكن لا عاقبة له، وربما كانت

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي - بتصرف - (٢٩٥-٢٩٨).

عاقبته شرَّ العواقب، وفي هذا المقام خفراء الكفار وأرباب الأحوال الشيطانية، فإنَّ صبرهم بالله لا لله ولا في الله...

الرابع: من فيه صبر لله، لكنه ضعيف النصيب من الصبر به والتوكل عليه والثقة به والاعتماد عليه، فهذا له عاقبة حميدة، ولكنه ضعيف عاجز مخذول في كثير من مطالبه؛ لضعف نصيبه من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فنصيبه من الله أقوى من نصيبه بالله، فهذا حال المؤمن الضعيف.

وصابر بالله لا لله: حال الفاجر القوي، وصابر لله وبالله: حال المؤمن القوي، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

فصابر لله وبالله: عزيز حميد، ومن ليس لله ولا بالله: مذموم مخذول، ومن هو بالله لا لله: قادر مذموم، ومن هو لله لا بالله: عاجز محمود)[١].

صور الصبر:

إن صور الصبر ومجالاته كثيرة في حياة الإنسان، فلا يستغني عنه أحد بحال من الأحوال، يقول ابن القيم: (إن الإنسان لا يستغني عن الصبر في حال من الأحوال، فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه، ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه، وقدر يجري عليه اتفاقًا، ونعمة يجب عليه شكر المنعم عليها، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه فالصبر لازم له إلى الممات، وكل ما يلقى العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين: أحدهما: يوافق هواه ومراده، والآخر: يخالفه، وهو محتاج إلى الصبر في كلٍّ منهما)[٢].

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٤٥٠).

(٢) ((عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين)) لابن القيم (ص ١٠١).

ومن المجالات التي ينبغي للإنسان أن يضبط نفسه عندها ويصبر عليها:

١- ضبط النفس عن الضجر والجزع عند حلول المصائب ومس المكاره.

٢- ضبط النفس عن السأم والملل لدى القيام بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة خلال مدة مناسبة.

٣- ضبط النفس عن العجلة والرعونة لدى تحقيق مطلب من المطالب المادية أو المعنوية.

٤- ضبط النفس عن الغضب والطيش لدى مثيرات عوامل الغضب في النفس.

٥- ضبط النفس عن الخوف لدى مثيرات الخوف في النفس.

٦- ضبط النفس عن الطمع لدى مثيرات الطمع فيها.

٧- ضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها.

٨- ضبط النفس لتحمل المتاعب والمشقات والآلام الجسدية والنفسية[1].

موانع التحلي بالصبر:

على المسلم الذي يريد أن يتحلى بالصبر أن يحذر من الموانع التي تعترض طريقه حتى لا تكون سدًّا منيعًا أمامه، ومن هذه الموانع[2]:

١- الاستعجال: فالنفس مولعة بحب العاجل؛ والإنسان عجول بطبعه، حتى جعل القرآن العجل كأنه المادة التي خلق الإنسان منها: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾ [الأنبياء: ٣٧] فإذا أبطأ على الإنسان ما يريده نفد صبره، وضاق

---

(١) ملخص من كتاب ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن حبنكة الميداني (٢/٢٩٤).

(٢) ((الصبر في القرآن الكريم)) ليوسف القرضاوي (ص ١٠٩) - باختصار.

صدره، ناسيًا أنَّ لله في خلقه سننًا لا تتبدل: وأنَّ لكل شيء أجلًا مسمًّى، وأنَّ الله لا يعجل بعجلة أحد من الناس، ولكل ثمرة أوان تنضج فيه، فيحسن عندئذ قطافها، والاستعجال لا ينضجها قبل وقتها، فهو لا يملك ذلك، وهي لا تملكه، ولا الشجرة التي تحملها، إنها خاضعة للقوانين الكونية التي تحكمها، وتجري عليها بحساب ومقدار...

٢- الغضب: فقد يستفزُّ الغضب صاحب الدعوة، إذا ما رأى إعراض المدعوين عنه، ونفورهم من دعوته، فيدفعه الغضب إلى ما يليق به من اليأس منهم، أو النأي عنهم، مع أن الواجب على الداعية أن يصبر على من يدعوهم، ويعاود عرض دعوته عليهم مرة بعد مرة، وعسى أن يتفتح له قلب واحد يومًا، تشرق عليه أنوار الهداية، فيكون خيرًا له مما طلعت عليه الشمس وغربت.

وفي هذا يقول الله لرسوله: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨-٥٠].

٣- شدة الحزن والضيق مما يمكرون، فليس أشد على نفس المرء المخلص لدعوته من الإعراض عنه، والاستعصاء عليه. فضلًا عن المكر به، والإيذاء له، والافتراء عليه، والافتنان في إعناته. وفي هذا يقول الله لرسوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] ثم يؤنسه بأنه في معيته سبحانه ورعايته فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

٤- اليأس: فهو من أعظم عوائق الصبر، فإنَّ اليائس لا صبر له؛ لأنَّ الذي يدفع الزارع إلى معاناة مشقة الزرع وسقيه وتعهده، هو أمله في الحصاد، فإذا

غلب اليأس على قلبه، وأطفأ شعاع أمله، لم يبق له صبر على استمرار العمل في أرضه وزرعه، وهكذا كل عامل في ميدان عمله...

ولهذا حرص القرآن على أن يدفع الوهم عن أنفس المؤمنين، فبذر الأمل في صدورهم ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠]، ولما أمر موسى قومه بالصبر إزاء طغيان فرعون وتهديده، أضاء أمامهم شعلة الأمل، فقال: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٨- ١٢٩].

الوسائل المعينة على الصبر:

أ- الوسائل المعينة على الصبر عن المعصية والصبر على الطاعة[1]:

١- مما يعين على الصبر عن المعصية علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله إنما حرمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل، كما يحمي الوالد الشفيق ولده عما يضره.

٢- الحياء من الله سبحانه، فإن العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأى منه ومسمع وكان حييًّا - استحيى من ربه أن يتعرض لمساخطه بترك طاعته أو ارتكاب معاصيه.

---

(١) ملخص من كتاب ((طريق الهجرتين)) لابن القيم (ص ٢٧٥).

٣- مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك، فإن الذنوب تزيل النعم ولا بد، فما أذنب عبد ذنبا إلا زالت عنه نعمه من الله بحسب ذلك الذنب، ومن أطاعه وشكره زاده من نعمه وآلائه.

٤- خوف الله وخشية عقابه، ورجاء ثوابه ومغفرته، وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده، والإيمان به وبكتابه وبرسوله.

٥- محبة الله وهي أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه، فإن المحب لمن يحب مطيع، وكلما قوي داعي المحبة في القلب كانت استجابته للطاعة بحسبه.

٦- شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تحطها وتضع من قدرها وتخفض منزلتها وتحقرها وتسوي بينها وبين السفلة.

٧- قوة العلم بسوء عاقبة المعصية وقبح أثرها والضرر الناشئ منها؛ من سواد الوجه وظلمة القلب وضيقه وغمه وحزنه وألمه وانحصاره وشدة قلقه واضطرابه وتمزق شمله وضعفه عن مقاومة عدوه وتعريه من زينته والحيرة في أمره وتخلي وليه وناصره عنه وتولي عدوه المبين له، وقوة العلم بحسن عاقبة الطاعة وأثرها الطيب على النفس.

٨- قصر الأمل وعلمه بسرعة انتقاله، وأنه كمسافر دخل قرية وهو مزمع على الخروج منها، أو كراكب قال في ظل شجرة ثم سار وتركها، فهو لعلمه بقلة مقامه وسرعة انتقاله حريص على ترك ما يثقله حمله ويضره ولا ينفعه حريص على الانتقال بخير ما بحضرته، فليس للعبد أنفع من قصر الأمل ولا أضر من التسويف وطول الأمل.

٩- مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس.

١٠- ثبات شجرة الإيمان في القلب، فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتم، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر، وكلما قوي داعي الإيمان في القلب كانت استجابته للطاعة بحسبه، وهذا السبب جامع للأسباب كلها.

ب - الوسائل المعينة على الصبر على البلاء:

١- أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه.

٢- أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع، ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به، فليصبر على تجرعه ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلا.

٣- أن يعلم أن في عقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الداء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

٤- أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء والنعمة والبلاء فيستخرج من عبوديته في جميع الأحوال، فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته، فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت

على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية، فالابتلاء كِير العبد ومحك إيمانه[1].

٥- أن يعلم أن ما أصابه مقدر من الله:

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

٦- أن يتذكر أعظم المصائب التي حلت بالأمة الإسلامية؛ وهي موت الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب))[2].

٧- أن يتجنب الجزع فهو لا ينفعه بل يزيد من مصابه:

قال ابن القيم: (إن الجزع يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه، وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه ورده خاسئًا، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا هو الثبات والكمال الأعظم، لا لطم

(١) من رقم ١ إلى ٤ ملخص من كتاب ((طريق الهجرتين)) لابن القيم (ص ٢٧٦).
(٢) رواه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٦٧/٧)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٩٦٧٨)، والبغوي في ((معجم الصحابة)) (٢٠/٤)، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (١٤٤٠/٣) من حديث سابط القرشي رضي الله عنه. قال ابن حجر العسقلاني في ((الإصابة)) (٢/٢): إسناده حسن، لكن اختلف فيه على علقمة، وصححه الألباني بمجموع طرقه في ((السلسلة الصحيحة)) (١١٠٦).

الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور)[١].

٨- أن يتسلى المصاب بمن هم أشد منه مصيبة:

قال ابن القيم: (ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل واد بنو سعد، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة؟! ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة؟! وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه، وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل؛ إن أضحكت قليلًا أبكت كثيرًا، وإن سرت يومًا ساءت دهرًا، وإن متعت قليلًا خيرة إلا ملأتها عبرة، ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور)[٢].

٩- أن يتسلى المصاب بأنه لله، وأن مصيره إليه:

قال ابن القيم: (إذا تحقق العبد بأنه لله وأن مصيره إليه تسلى عن مصيبته، وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته: أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة... الثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردًا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته، فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود؟!)[٣].

١٠- أن يعلم أن ابتلاء الله له هو امتحان لصبره:

يقول ابن قيم الجوزية في ذلك: (أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين أرحم

---

(١) ((زاد المعاد)) لابن القيم (١٧٣/٤).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((المصدر السابق)) بتصرف.

الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحًا ببابه لائذًا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعًا قصص الشكوى إليه)[1].

١١- أن يعلم أن مرارة الدنيا هي حلاوة الآخرة:

قال ابن القيم: (إن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة، يقلبها الله سبحانه كذلك، وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك، فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق: ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات))[2]. وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق، وظهرت حقائق الرجال، فأكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول، ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد، ولا ذل ساعة لعز الأبد، ولا محنة ساعة لعافية الأبد، فإن الحاضر عنده شهادة، والمنتظر غيب، والإيمان ضعيف، وسلطان الشهوة حاكم، فتولد من ذلك إيثار العاجلة ورفض الآخرة)[3].

١٢- **أن يشهد أن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد، حركاتهم وسكناتهم وإراداتهم**، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يتحرك في العالم العلوي والسفلي ذرة إلا بإذنه ومشيئته، فالعباد آلة، فانظر إلى الذي سلطهم عليك، ولا تنظر إلى فعلهم بك، تسترح من الهم والغم.

---

(١) ((زاد المعاد)) لابن القيم (٤/١٧٣).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢) واللفظ له، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) ((زاد المعاد)) لابن القيم (٤/١٧٣).

١٣- **أن يشهد ذنوبه، وأن الله إنما سلطهم عليه بذنبه،** كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠].

١٤- **أن يشهد العبد حسن الثواب الذي وعده الله لمن عفا وصبر،** كما قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠].

١٥- **أن يشهد أنه إذا عفا وأحسن أورثه ذلك من سلامة القلب لإخوانه،** ونقائه من الغش والغل وطلب الانتقام وإرادة الشر، وحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومنفعته عاجلًا وآجلًا.

١٦- **أن يعلم أنه ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلًّا يجده في نفسه،** فإذا عفا أعزه الله تعالى، وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: ((ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا))[1].

١٧- **أن يشهد أن الجزاء من جنس العمل، وأنه نفسه ظالم مذنب،** وأن من عفا عن الناس عفا الله عنه، ومن غفر لهم غفر الله له.

١٨- **أن يعلم أنه إذا اشتغلت نفسه بالانتقام وطلب المقابلة ضاع عليه زمانه،** وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه مالا يمكن استدراكه.

١٩- **إن أوذي على ما فعله لله، أو على ما أمر به من طاعته ونهى عنه من معصيته، وجب عليه الصبر، ولم يكن له الانتقام،** فإنه قد أوذي في الله فأجره على الله.

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٠- أن يشهد معية الله معه إذا صبر، ومحبه الله له إذا صبر، ورضاه. ومن كان الله معه دفع عنه أنواع الأذى والمضرات مالا يدفعه عنه أحد من خلقه، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

٢١- أن يشهد أن صبره حكم منه على نفسه، وقهر لها وغلبة لها، فمتى كانت النفس مقهورة معه مغلوبة، لم تطمع في استرقاقه وأسره وإلقائه في المهالك، ومتى كان مطيعًا لها سامعًا منها مقهورًا معها، لم تزل به حتى تهلكه، أو تتداركه رحمة من ربه.

٢٢- أن يعلم أنه إن صبر فالله ناصره ولابد، فالله وكيل من صبر، وأحال ظالمه على الله، ومن انتصر لنفسه وكله الله إلى نفسه، فكان هو الناصر لها.

٢٣- أن صبره على من آذاه واحتماله له يوجب رجوع خصمه عن ظلمه، وندامته واعتذاره، ولوم الناس له، فيعود بعد إيذائه له مستحييًا منه نادمًا على ما فعله، بل يصير مواليًا له(١).

نماذج في الصبر:

- **نماذج من صبر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم:**

صَبرُ أولي العزم من الرسل على مشاق الدعوة إلى الله:

صَبَرَ أولو العزم من الرسل على مشاقِّ الدعوة إلى الله، فأبلوا بلاءً حسنا، صبر نوح عليه السلام وقضى ألف سنة إلا خمسين عامًا كلها دعوة، وصبر إبراهيم عليه السلام على كل ما نزل به فجُمع له الحطب الكثير، وأوقدت فيه النار العظيمة، فألقي فيها، فكانت بردًا وسلامًا. وموسى عليه السلام يصبر

(١) من رقم ١٢ إلى ٢٣، ملخص من كتاب ((جامع المسائل)) لابن تيمية (١/١٦٨-١٧٤).

على أذى فرعون وجبروته وطغيانه. ويصبر عيسى عليه السلام على تكذيب بني إسرائيل له، ورفض دعوته، ويصبر على كيدهم ومكرهم حتى أرادوا أن يقتلوه ويصلبوه، إلا أن الله سبحانه وتعالى نجاه من شرهم. وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فما أكثر ما لاقاه في سبيل نشر هذا الدين، فصبر صلوات ربي وسلامه عليه.

قال تعالى آمرًا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

قال السعدي: (أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعيًا لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتمَّ يقينهم، فهم أحقُّ الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم)[1].

أيوب عليه السلام وصبره على البلاء:

كان نبي الله أيوب عليه السلام، غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٢-٨٤].

(يذكر تعالى عن أيوب، عليه السلام، ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثير، ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده -يقال بالجذام في سائر بدنه- ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه،

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) (٧٨٣).

يذكر بهما الله عز وجل، حتى عافه الجليس، وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت تقوم بأمره)[1].

نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وصبرهما على طاعة الله:

رأى نبي الله إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل؛ ورؤيا الأنبياء وحي، فأخبر ابنه بذلك، وعرض عليه الأمر. قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات:١٠٢].

(﴿قَالَ﴾ إسماعيل صابرًا محتسبًا، مرضيًا لربه، وبارًّا بوالده: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ﴾ أي: امض لما أمرك الله ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازمًا بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالًا لأمر ربه، وخوفا من عقابه، والابن قد وطَّن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه، ورضا والده، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي: تلَّ إبراهيم إسماعيل على جبينه، ليضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه؛ لئلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه.

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ ﴾ في تلك الحال المزعجة، والأمر المدهش: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ﴾ أي: قد فعلت ما أمرت به، فإنك وطَّنت نفسك على ذلك، وفعلت كل سبب، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى

---

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٥/٣٥٩).

ﱡﭐﱖﱠ في عبادتنا، المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم)[١].

- **نماذج من صبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:**

لقد صبر الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغ صبره مبلغًا عظيمًا، وهذه نماذج متنوعة من صبره صلى الله عليه وسلم:

صبره صلى الله عليه وسلم على المشركين حينما آذوه، ورموه بالكذب، والكهانة، والسحر، والجنون:

- قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((بينا النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور، فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره، ودعت على من صنع))[٢].

- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال: فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (٧٠٥).

(٢) رواه البخاري (٣١٨٥)، ومسلم (١٧٩٤).

عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى وحده لا يشرك به شيئًا))[١].

- وعن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيءٍ صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ((بينا رسول الله وسلم يصلي بفناء الكعبة؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط وهو من الكفار، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا))[٢].

صبره صلى الله عليه وسلم على المنافقين:

ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه ((أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارًا عليه إكَاف، تحته قطيفة فدَكِيَّة، وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين وعبدة الأوثان واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قال: فلما غشيت المجلس عجاجة[٣] الدَّابة ، خمَّر عبد الله بن أبي أنفه، ثم قال: لا تغبِّروا[٤] علينا، فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء -يريد النبي صلى الله عليه وسلم- لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقًّا فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، فقال عبد الله بن

(١) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) رواه البخاري (٣٨٥٦).

(٣) العجاج: الغبار. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/٣١٩).

(٤) غبره تغبيرا: لطخه بالغبار. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (١٣/١٩٠).

رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، قال: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى همُّوا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي- قال كذا وكذا؟ فقال سعد رضي الله عنه: اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحيرة أن يتوجوه فيعصِّبوه بالعصابة -أي يجعلوه ملكًا عليهم- فلما ردَّ الله ذلك بالحقِّ الذي أعطاكه شرق[1] بذلك، فلذلك فعل به ما رأيت، قال: فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم))[2].

صبره صلى الله عليه وسلم على مشاق الحياة وشدتها:

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: ((ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، فقلت: ما كان يُعيِّشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كان لهم منائح[3]، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبياتهم فيسقيناه))[4].

وأنه صلى الله عليه وسلم قال: ((لقد أخفت في الله، وما يخاف أحد، وقد أوذيت في الله، وما يُؤذى أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون ما بين يوم وليلة وما لي طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال))[5].

---

(١) الشرق: الشجا والغصة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/١٧٧).

(٢) رواه البخاري (٦٢٥٤)، ومسلم (١٧٩٨).

(٣) منائح جمع منيحة، وهي كعطية لفظا ومعنى. انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٥/١٩٩).

(٤) رواه البخاري (٦٤٥٩).

(٥) رواه الترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١)، وأحمد (٣/٢٨٦) (١٤٠٨٧) من حديث =

صبره صلى الله عليه وسلم على فقد الأولاد والأحباب:

فمات عمه أبو طالب، وتوفيت زوجته خديجة، وتوفي أولاده كلهم في حياته إلا فاطمة، وقتل عمه حمزة، فصلوات ربي وسلامه عليه.

- **نماذج من صبر الصحابة رضوان الله عليهم:**

(علَّم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه كيف يصبرون في مختلف الأمور وضروبها، فقد علمهم الصبر من أجل هذا الدين، والتضحية في سبيله)[1].

(والصحابة رضي الله عنهم لهم مواقف كثيرة جدًّا، لا يستطيع أحد أن يحصرها؛ لأنهم رضي الله عنهم باعوا أنفسهم، وأموالهم، وحياتهم لله، ابتغاء مرضاته، وخوفًا من عقابه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة)[2]. وإليك نماذج من صبرهم رضي الله عنهم وأرضاهم:

صَبرُ آل ياسر رضي الله عنهم:

وآل ياسر رضي الله عنهم - عمار، وأبوه ياسر، وأمه سمية - يعذبهم المشركون بسبب إيمانهم فيصمدون، وروى الحاكم في المستدرك عن ابن إسحاق قال: ((كان عمار بن ياسر وأبوه وأمه أهل بيت إسلام، وكان بنو مخزوم يعذبونهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: صبرًا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة))[3].

= أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن غريب. وصححه ابن القيم في ((عدة الصابرين)) (٢٩٩/١)، والألباني في ((صحيح الترمذي)) (٢٤٧٢).

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لحسن السعيد (ص ١٩٧).

(٢) ((دروس إيمانية في الأخلاق الإسلامية)) لخميس السعيد (ص ٨٩).

(٣) رواه ابن هشام في ((السيرة)) (٣١٩/١)، الحاكم في ((المستدرك)) (٤٣٢/٣) واللفظ له، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢٣٩/٢) (١٦٣١) من حديث ابن إسحاق.

بلال رضي الله عنه يُعَذَّب فيصبر:

فهذا بلال بن رباح رضي الله عنه يعذب من أجل إيمانه فيصبر، (فكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ثم يقول: لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد، فيقول وهو في ذلك: أحد أحد)(١).

وقال ابن مسعود: (أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وبلال، وصهيب، والمقداد.

فأما النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر: فمنعهما الله بقومهما.

وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد)(٢).

أم سلمة رضي الله عنها وصبرها عند فقد ابنها:

وهذه أم سلمة تصبر عن موت فلذة كبدها، يروي لنا أنس رضي الله عنه قصتها فيقول: ((أن أبا طلحة كان له ابن يكنى أبا عمير قال: فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أبا عمير ما فعل النغير؟ قال: فمرض وأبو طلحة غائب في بعض حيطانه فهلك الصبي فقامت أم سليم فغسلته وكفنته وحنطته وسجت عليه ثوبًا وقالت: لا يكون أحد يخبر أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أخبره، فجاء أبو طلحة كالًا، وهو صائم، فتطيبت له وتصنعت له، وجاءت

---

(١) رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١/١٤٨) من حديث ابن إسحاق رحمه الله.

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١/٣٠٢).

بعشائه، فقال: ما فعل أبو عمير؟ فقالت: تعشى وقد فرغ، قال: فتعشى وأصاب منها ما يصيب الرجل من أهله، ثم قالت: يا أبا طلحة أرأيت أهل بيت أعاروا أهل بيت عارية فطلبها أصحابها، أيردونها أو يحبسونها؟ فقال: بل يردونها عليهم، قالت: احتسب أبا عمير، قال: فغضب، وانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بقول أم سليم، فقال صلى الله عليه وسلم: بارك الله لكما في غابر[1] ليلتكما))[2].

- **نماذج من صبر السلف رحمهم الله:**

عروة بن الزبير وصبره على الابتلاء:

(وقعت الأكلة[3] في رجل عروة بن الزبير، فصعدت في ساقه، فبعث إليه الوليد، فحُمل إليه ودعا الأطباء فقالوا: ليس له دواء إلا القطع، وقالوا له: اشرب المرقِد[4]، فقال عروة للطبيب: امض لشأنك، ما كنت أظن أن خلقًا يشرب ما يزيل عقله حتى يعرف به، فوضع المنشار على ركبته اليسرى، فما سُمع له حسٌّ، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت. وما ترك جزءه من القرآن تلك الليلة. قال الوليد: ما رأيت شيخًا قط أصبر من هذا. ثم إنه أصيب بابنه محمد في ذلك السفر، ركضته بغلة في إصطبل، فلم يُسمع من عروة في ذلك كلمة. فلما كان بوادي القرى قال: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾ [الكهف:٦٣]، اللهم كان لي بنون سبعة، فأخذت واحدًا وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت واحدًا وأبقيت

(١) الغابر: الباقي. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/٥).
(٢) رواه مسلم (٢١٤٤)، وابن حبان في ((صحيحه)) (١٥٨/١٦) واللفظ له.
(٣) الأكلة: داء يقع في العضو فيأتكل منه. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٢٢/١١).
(٤) المرقد: شيء يشرب فينوم من شربه ويرقده. انظر: ((المصدر السابق)) (١٨٣/٣).

ثلاثة، ولئن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت)[١].

- **نماذج من صبر العلماء المتقدمين:**

صبر الإمام أحمد بن حنبل على محنة خلق القرآن:

(أخذ أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن أيام المأمون، ليحمل إلى المأمون ببلاد الروم، وأخذ معه أيضًا محمد بن نوح مقيَّدين، ومات المأمون قبل أن يلقاه أحمد، فَرُدَّ أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح في أقيادهما، فمات محمد بن نوح في الطريق، وردَّ أحمد إلى بغداد مقيدًا.

ودخل على الإمام أحمد بعض حفاظ أهل الحديث بالرقة وهو محبوس، فجعلوا يذاكرونه ما يروى في التقيَّة من الأحاديث، فقال أحمد: وكيف تصنعون بحديث خباب: ((إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار، ثم لا يصده ذلك عن دينه))[٢]؟! فيئسوا منه.

وقال إبراهيم البوشنجي: ذكروا أن المعتصم رق في أمر أحمد، لما عُلِّق في العقابين، ورأى ثبوته وتصميمه، وصلابته في أمره، حتى أغراه ابن أبي دؤاد، وقال له: إن تركته قيل: إنك تركت مذهب المأمون، وسخطت قوله، فهاجه ذلك على ضربه.

وقال أبو غالب ابن بنت معاوية: ضرب أحمد بن حنبل بالسياط في الله، فقام مقام الصِّدِّيقين، في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين)[٣].

---

(١) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٤/٤٣٠).

(٢) رواه البخاري (٣٦١٢) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

(٣) ((صلاح الأمة)) لسيد العفاني (٤/٤٠٩).

- **نماذج من صبر العلماء المعاصرين:**

الشيخ الألباني وصبره على العلم والتعليم:

يقول أحد تلامذة الشيخ: (إن الشيخ جلس ليلة ساهرًا، حتى أذَّن الفجر في المدينة، وهو في نقاش مع الشباب، وبعد أداء الصلاة في المسجد النبوي أراد الشيخ أن يسافر إلى مكة لأداء العمرة، فقلنا له: أنت لم تنم. قال: أجد بي قوة ونشاطًا. فركب السيارة وسافرنا معه إلى مكة وعند الساعة التاسعة صباحًا تقريبًا أوقف السيارة عند ظل شجرة، وقال سأنام ربع ساعة فقط، فإن لم أستيقظ فأيقظوني. فضمرنا في أنفسنا أن لا نوقظ الشيخ حتى يستريح، وبعد ربع ساعة من الوقت استيقظ الشيخ وحده، فركب السيارة وتوجهنا إلى مكة، فأدينا العمرة، ثم ذهبنا إلى بيت صهره ... فإذا طلبة العلم ينتظرون الشيخ، فجلس معهم كما هي عادة الشيخ في نقاش ومناظرة إلى ساعة متأخرة من الليل دون تعب)[1].

ويقول: (ومما يدل على صبره وجلده في طلب العلم... أن الشيخ ناصر صعد على السلم في المكتبة الظاهرية ليأخذ كتابًا مخطوطًا، فتناول الكتاب وفتحه، فبقي واقفًا على السلم يقرأ في الكتاب لمدة تزيد على الست ساعات)[2].

ما هو الباعث على الصبر؟

يجب أن يكون الباعث على الصبر ابتغاء وجه الله عز وجل، والتقرب إليه ورجاء ثوابه، لا لإظهار الشَّجَاعَة وقوة النفس وغير ذلك من الأغراض، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [الرعد: ٢٢].

(١) ((مقالات الألباني)) نور الدين طالب (٢١٨).
(٢) ((المصدر السابق)) (٢٢٠).

قال السعدي في تفسيره للآية: (﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾: (لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه، طلبًا لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة)[1].

وقال سبحانه: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ (أي: اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل)[2].

الصبر في واحة الشعر:

قال الشاعر:

صبرًا جميلًا على ما ناب من حدثٍ ... والصبرُ ينفعُ أحيانًا إذا صبروا

الصبرُ أفضل شيءٍ تستعين به ... على الزمانِ إذا ما مسَّك الضررُ[3]

وقال الشاعر:

إني رأيتُ وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثرِ

وقلَّ من جدَّ في شيء يحاوله ... فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفرِ[4]

وقال آخر:

أتاك الروح والفرج القريب ... وساعدك القضاء، فلا تخيبُ

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) (ص ٤١٦).

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٨/٢٦٤).

(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦١).

(٤) ((المصدر السابق)).

صبرت، فنلت عقبى كلِّ خير كذلك لكلِّ مصطبر عقيبُ[١]

قال الشاعر:

فما شدة يومًا، وإن جلَّ خَطبها بنازلة إلَّا سيتبعها يسر

وإن عسرت يومًا على المرء حاجة وضاقت عليه كان مفتاحها الصبر[٢]

قال الشاعر:

تعزَّ، فإنَّ الصبر بالحرِّ أجمل وليس على رَيب الزمان معولُ

فإن تكن الأيام فينا تبدلَّت بنُعمَى وبُؤسَى، والحوادث تفعلُ

فما ليَّنتْ منا قناةً صليبةً ولا ذلَّلتْنا للذي ليس يجملُ

ولكن رحلناها نفوسًا كريمة تُحمَّل مالا تستطيعُ فتَحملُ[٣]

قال الشاعر:

إني رأيت الخير في الصبر مسرعًا وحسبك من صبر تحوز به أجرا

عليك بتقوى الله في كلِّ حالة فإنك إن تفعل تصيب به ذخرا[٤]

قال الشاعر:

وإذا عَرتْك بليةٌ فاصبرْ لها صبرَ الكريم، فإنَّه بك أعلمُ

وإذا شكوتَ إلى ابنِ آدمَ إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يَرحمُ[٥]

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦١).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٦٢).
(٣) ((الحث على طلب العلم)) لأبي هلال العسكري (ص ٥٨).
(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٢).
(٥) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٤٣٥).

قال الشاعر:

تعزَّ بحسن الصبر عن كلِّ هالك ... ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازمِ
إذا أنت لم تسلُ اصطبارًا وخشية ... سلوت على الأيام مثلَ البهائمِ[1]

وقال ابن زنجي البغدادي:

غاية الصبر لذيذٌ طعمُها ... وبديٌّ الصبر منه كالصَّبِر
إنَّ في الصبر لفضلًا بيِّنًا ... فاحمل النفس عليه تصطبر[2]

وقال الكريزي:

صبرتُ ومَن يصبرْ يجدْ غِبَّ صبره ... ألذَّ وأحلَى مِن جنَى النَّحل في الفمِ
ومَن لا يطِبْ نفسًا، ويستبْقِ صاحبًا ... ويغفرْ لأهل الودِّ يصرمْ ويصرمِ[3]

قال الشاعر:

إذا لم تسامح في الأمور تعقَّدت ... عليك فسامح وأخرِجِ العسرَ باليسرِ
فلم أرَ أوفى للبلاء مِن التُّقَى ... ولم أرَ للمكروه أشفَى مِن الصبرِ[4]

قال الشاعر:

اصبر لكلِّ مصيبة، وتجلَّدِ ... واعلم بأنَّ المرء غيرُ مخلدِ
أوَما ترَى أنَّ المصائب جمَّةٌ ... وترَى المنيَّة للعباد بمرصدِ
مَن لم يُصَبْ ممن ترَى بمصيبةٍ ... هذا سبيلٌ لست فيه بأوحدِ
فإذا ذكرتَ محمدًا ومُصابه ... فاذكرْ مُصابك بالنبيِّ محمدِ[5]

---

(١) ((المحاضرات والمحاورات)) للسيوطي (٢٨٢).
(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٣).
(٣)((المصدر السابق))، ((الصداقة والصديق)) لأبي حيان (ص ٣٥٥).
(٤) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٤٥).
(٥) ((غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب)) للسفاريني (ص ٢٧٦).

قال الشاعر:

مفتاحُ باب الفرج الصبر وكلُّ عسرٍ معه يسرُ
والدهرُ لا يبقَى على حالِه والأمرُ يأتي بعدَه الأمرُ
والكرهُ تُفنيه الليالي التي يفنَى عليها الخير والشرُّ
وكيف يبقَى حالُ مَن حالُه يُسرع فيها اليوم والشهرُ(١)

قال الشاعر:

تجري المقادير إن عسرًا وإن يسرًا حاذرت واقعها أو لم تكن حذرا
والعسر عن قدر يجري إلى يسر والصبر أفضل شيء وافق الظفرا(٢)



(١) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٥٨).
(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٤).

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

